عدنان درويش – محمد المصري

▪ المجمل في اللغة ، لابن فارس، دار إحياء التراث العربي.

▪ المجموع شرح المهذب ، للنووي يحيى بن شرف ، المطبعة المنيرية .

▪ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر

▪ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت

▪ المصنف، تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي

▪ المعجم الوسيط (١+٢)، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية

▪ معجم مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون ،دار الفكر للطباعة و النشر.

▪ المغني لابن قدامة ،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

▪ المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني ،تحقيق محمد سيد كيلاني.

▪ المنثور في القواعد، لبدر الدين الزركشي،تحقيق الدكتور تيسير فائق،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الكويت.

كاتب إنجيل مرقص

بين الإقرار والإنكار

(بحث مقدم إلى كلية أصول الدين – القاهرة)

جامعة الأزهر

د/ عبد الرحمن جيرة عبد الرحمن التومي

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين القاهرة

المقدمــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علــى المبعــوث رحمــة للعالمين، وعلــى آلــه وصحبه أجمعين.. أما بعــد

فهذا بحث بعنوان كاتــب إنجيــل مرقص بين الإقرار والإنكار، نسجل فيه ما حصلنا عليه من معلومــات حول كاتب الإنجيل المعروف لــدى الكنائس بــ «الإنجيــل بحسب القديس مرْقُص» ومن ثــم نعمــل على تحليل وفحص هذه المعلومات لنخرج في النهاية بنتيجة نأمل أن تكون كلمة فصل بين وجهات النظر المختلفة حول الكاتب. ولك أخــي القارئ أن تتدبر الرأي ونقيضه، ولك أن تمارس الشك المنهجي في سبيل الوصول إلى الرأي الصحيح من بين الرأي ونقيضه.

يشتمل هذا البحث على مبحثين:

في الأول نقــدم نظــرة التقليــد الكنسي حول كاتب إنجيل مرقص.

وفــي الثــاني نعقــب عليهــا مستأنسين بموقف النقد الحديث.

ثم نمضي في تحليل المواقــف والأقوال القديمة والحديثة لنــصل في النهاية إلى ما تــستريح إليــه صدورنا.

وما نطمئن أن نلقى عليه ربنا.

وما نأمــل أن تــشاركنا بــشأنه الرأي.

وإن تلاشت أمانينا في الاتفــاق، فعشمنا أن لا يبددنا شقاق.

المبحث الأول
كاتب إنجيل مرقص في التقليد الكنسي

إذا كان لكل رسول رسالة يتلقاها من ربه ليبلغها لقومه، فإن المسيح هو أحد رسل الله عليهم السلام، وقد تلقي وبلغ قومه ما تلقاه. ولكن هذه المعادلة تنقلب رأساً على عقب في التاريخ المسيحي، فالمسيح بلا كتاب وبلا رسالة، بينما الأناجيل تتنازعها الادعاءات ومع الجهالة الكاملة بكاتبيها لم تقم الكنيسة بإلحاق أي منها إلى المسيح عليه السلام.

وتأتي معرفة الجو العام الذي ألف فيه إنجيل مرقص كخطوة يخطوها الباحث في سبيل تحديد هوية أحد هؤلاء المجهولين، لكن كثيراً ما تتعثر محاولات التعرف على ظروف وكيفية كتابة الإنجيل، ومدى صلته أو بعده عن رسالة المسيح عليه السلام.

وهنا يقف التقليد ليقدم للمتعثرين معلومات غزيرة حول لغة ومكان وزمان كتابة الإنجيل، لكنها ليس أكثر من تخمينات.

- لغة الإنجيل

من المعلوم أن لغة المسيح عليه السلام كانت الآرامية، ولكن ها نحن ننتهي من إنجيل ونشرع في آخر، دون أن نجد فيما تركناه ولا فيما استقبلناه ما هو مسجل بلغة المسيح عليه السلام.

يأتي الإنجيل الثاني مثل الأول بلغة اليونان.

وسيأتي الثالث والرابع كذلك.

والنتيجة لكل ذلك لا تحتاج إلى حساب أو تفكير، فهي تؤكد بوضوح أن هذه الأناجيل كتبت بعيداً عن أتباع المسيح عليه السلام

فلم يقتصر الأمر على غير تلاميذ المسيح، بل وحتى العامي غير المتمرس بدأ يدخل عالم المنافسة في تسجيل قصة المسيح، وأمامنا الآن إنجيل مرقص يكرر كاتبه حرف العطف كثيراً، كما يتجنب العبارات البليغة. ويستخدم اليونانية الدارجة، ومفرداته خالية من الكلمات الفنية التي يستخدمها العلماء عادة، كما أنها خالية من الكلمات السوقية. وقد لاحظ العلماء في دراستهم أن لغته «اليونانية مختلفة جداً عن لغة الأناجيل الأخرى، سواء في أدبياتها أو أسلوبها أو لهجتها أو نحوها، وقد

وصفوها بأنها عامية»(١)

وخلاصة ما يستجمعه محررو دائرة المعارف الكتابية من أقوال الآباء أن الإنجيل كتب أصلاً في اليونانية، وترجماته تمت نقلا عن هذه اللغة لا إليها، ولقد ظن بعضهم أنه كتب أصلاً في اللاتينية، وليس من سند لذلك سوى بعض الإشارات في القليل من المخطوطات، وفي الهرقلية والبشيطة السريانية.

ويدافع «بلاس» عن كتابة الإنجيل بالآرامية معتقدا أن لوقا- في الجزء الأول من سفر الأعمال- قد استقى من مصدر أرامي، وأن هذا المصدر هو ما سجله كاتب الإنجيل الثاني.(٢)

---

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص دراسة وتفسير وشرح أول وأقدم الأناجيل الأب متى المسكين صـ ٢٤ مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.

٢ - دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل مرقص) بتصرف يشير الكتاب إلى أن لوقا قد استقى الإصحاح الأول والثاني من إنجيله من مصدر عبري أو آرامي. ولكن إنجيل مرقص يخلو من تكرار ما جاء في هذا الإصحاح، وكذلك سفر الأعمال يعالج موضوعات مختلفة عن الإنجيل، فالعبارة المذكورة هنا ليست في موضعها.

وإذا أخذنا بهذا الرأي فسوف نكرر ما سبق وقلناه في العلاقة بين متى العبراني واليوناني، وسوف ننتهي إلى نفس النتيجة. غير أن المتفق عليه هو أن الإنجيل مسجل باليونانية، وإن كان الكاتب على دراية بالآرامية، ويبدو ذلك في استخدامه بعض الكلمات الآرامية، مثل:

- «وقال لها: طليثا قومي الذي تفسيره يا صبية قومي» إصحاح ٥ عدد:٤١
- «ورفع نظره إلى السماء وأنَّ وقال له إفَّثا أي انفتح» إصحاح ٨ عدد ٣٤
- وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد» إصحاح ٣ عدد ١٧

فالكاتب هنا يبقى الكلمة الآرامية بجوار مرادفها اليوناني، وهذا يعطي إشارة على وقوفه على القصة في الآرامية. ويعطي كذلك انطباعاً بأن الكلمة في الأصل لها أكثر من مرادف، وفيما بعد رأى الإنجيليون التخلص من هذه الطريقة في الكتابة، والتقليل من استخدام الكلمات الآرامية. إذ أن عدم استخدام كلمات أجنبية في لغة

الكاتب يشير إلى تمكنه من لغته، وقدرته على تعيين المرادف بسلاسة، وبالتالي يكون أسلوبه أبين، وعبارته أوضح.

- مكان كتابة الإنجيل

عندما ظهر اسم «إنجيل مرْقُص» لأول مرة، كان ذلك في قائمة موراتوري، ولكن لا أحد اليوم يعرف أين ظهرت هذه القائمة، ولا أين كتب إنجيل مرقص، ولا غيره من الأناجيل، وسوف ندخل كالمعتاد في التخمينات، حيث هناك العديد من الاجتهادات، وأبرزها ثلاث أماكن مقترحة لكتابة الإنجيل:

الأول: مصر وهذا قاله كيسستم (يوحنا فم الذهب) وناقضه أكليمندس الإسكندري وأوريجانوس

الثاني: إنطاكية، لأن يوحنا الشيخ الذي يقتبس بابياس شهادته كان يسكن في الشرق، ثم إن ظهور بعض الكلمات الآرامية في الإنجيل يؤيد ذلك.

الثالث: روما، وهذا عليه غالبية علماء النصارى، وشهادة إيرينْيوس وإكليمندس الإسكندري تؤيد ذلك.[1]

وهذا الرأي الأخير وإن كان عليه غالبية اللاهوتيين، إلا أنه كالأول مجرد تخمين، وكل ما يستطيعه الآباء هو التسليم بأن الإنجيل قد كُتب، أين ؟

لا أحد يعرف، وعلى من يرغب في المعرفة أن يضرب في الأرض شرقاً وغرباً. مخمنا تارة، ومنجماً أخرى، ليصل في النهاية إلى النتيجة المعهودة:

«لا يعلم أين كتب هذا الإنجيل سوى واحد، وهو الله .»

- تاريخ كتابة الإنجيل

إن تعدد الأقوال بشأن تاريخ كتابة الإنجيل لا يرجع إلى أبحاث متأخرة، فهناك انقسام شديد منذ عصر الآباء الأول، ولا نجد دليلا واحداً يؤيد رأياً دون آخر، فكلها تخمينات لا تستند سوى على قرائن، أحياناً نحسبها تؤيد تاريخاً من التواريخ، فإذا بها تؤيد أكثر من تاريخ، وأكثر من مكان للكتابة، بل وأكثر من كاتب. ونتيجة لذلك يختلف العلماء في كل شيء يتعلق بالإنجيل، فالتاريخ لا يعطينا زمناً محدداً لكتابة الإنجيل، سواء في الإنجيل أو في أعمال الرسل، لذلك تكاثرت التخمينات، وتعددت

1 - المدخل إلى العهد الجديد د. فهيم عزيز صـ ٢٢٠ ، ٢٢١ ط/ دار الثقافة.

الاجتهادات:

فالذين يتمسكون بالتقليد المصري يؤكدون أنه كتب في منتصف الأربعينات.

ويذكر س. س. توري **Torry** أنه كتب فيما بين سنة ٣٩، ٤٠ م بانياً رأيه على العبارة «فمتى نظرتم رجسة الخراب قائمة ..» ورجسة الخراب هي صورة (كاليجولا) وقد وضعت في الهيكل كما يعتقد هذا العالم.

وقال هارينك أنه كتب في الخمسينات.

ومعظم العلماء يعتقدون أنه كتب فيما بين سنة ٦٤ – ٧٠م ويبنون عقيدتهم على شهادة إيرينْيُوس الذي يقول إن مرْقُص كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس.[1]

ويأتي يوسي أوكالاجان ١٩٧٢م وهو راهب يسوعي وعالم برديات من معهد دراسات الكتاب المقدس بروما بنظرية يحدث بها ضجة في محيط الأبحاث المتعلقة بالأناجيل، فقد عثر في الكهف رقم ٧ بوادي قمران على قصاصتين من انجيل مرْقص (٦ : ٥٢ – ٥٣ و ٤ : ٢٨) وأهم نقطة في الموضوع أنه جرت الأبحاث الضوئية الدقيقة على الرقعتين فتحدد زمانهما مبدئيا بسنة ٥٠ م.[2]

غير أن هذه الأبحاث الضوئية وما أثارته من ضجة لا تقدم ولا تؤخر، لأنها لا تجيب على هذا السؤال: هل الرقعتان المذكورتان أخذتا من الإنجيل أم دخلتا فيه؟ بمعنى أنهما ربما كانتا في إنجيل آخر، استعمل نفس المصدر الذي استخدمه متى ومرْقص.

وحتى لو اعتقدنا أن إنجيل مرْقص هو أول الأناجيل الأربعة،

1 - المدخل إلى العهد الجديد صـ ٢١٩ ، ٢٢٠ والإنجيل بحسب مرقص الأب متى المسكين صـ ٢٠ ، ٣٠.

2 - الإنجيل بحسب مرقص الأب متى المسكين صـ ١١٤ والقصاصتان لا تشكلان أكثر من ثلاثة أعداد، عددٌ في قصاصة وعددان في الأخرى، ففي الأولى «لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر، أولا نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل» وفي الثانية: «لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة ، فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت وأرسوا» والعدد الأخير موجود في متى ١٤ : ٣٤

فهذا يعني أنه قد أوجد نوعاً من الآداب لم يكن معروفاً من قبل. هذا النوع فتح المجال لظهور العشرات من القصص التي أطلق عليها أناجيل.

- اتفاق التقليد العام على اسم مرقص

يكاد التقليد في الغرب والشرق يجمع على أن مَرقُص هو مؤلف الإنجيل الثاني، ومع ذلك يدور الخلاف حول من هو مرقُص؟ وهناك الكثير من المعلومات التي تكررها الأبحاث والمؤلفات الحديثة لا نعرف مصدرها الأول، وتتعلق هذه المعلومات باسم مَرقُص وزيارته لمصر ووجوده ضمن التلاميذ السبعين، وعلاقته ببطرس.

أما عن اسمه فالتقليد يقترح أن له اسمين، أحدهما يهودي والآخر لاتيني.

فأما اسمه اليهودي الأول فهو «يوحنا» ومعناه «الله تحنن» وأما اسمه اللاتيني «مَرْقُص» فقد أخذه بحكم البيئة والتعليم، إذ تربى في مدرسة كريني (القيروان) ودرس في مدارسها اليونانية.

والاسم في اللاتينية يعني (المطرقة الثقيلة) وتدعى (المرزبة) وقد كان هذا الاسم بما يحمله من معنى سبباً في تحريك خيال أهل التقليد، فبدا لبعضهم أن سبب هذه التسمية يرجع إلى أن مَرقُص قد مارس الشدة على الوثنيين في الإسكندرية، فقد انقض عليهم في عظاته بطرقات عنيفة مما أثار حفيظتهم وأربك علماءهم وألب عليه الشعب الوثني فلم يحتملوا طرقاته الهاوية على أصول دياناتهم الواهية.[1]

وأما زيارته إلى مصر فيعتقد التقليد القبطي أنه زارها، ومن ثم يتمسك البطاركة المصريون بحقهم في خلافتهم له. ويعتبر يوسابيوس القيصري أول مصدر يشير إلى علاقة القديس مَرقُص بكنيسة الإسكندرية، ولكنه يحكي هذا القول كالشائعة على هذا النحو: «ويقولون إن مَرقُص هذا كان أول من أرسل إلى مصر، وإنه نادى بالإنجيل الذي كتبه وأسس الكنائس في الإسكندرية

1 - السابق ٢٣

أولاً»

وهناك خلاف دائر بين مؤرخي الكنيسة المؤيدين للتقليد المصري حول تاريخ مجيء مَرقُص إلى الإسكندرية، فقد نسب أحد رهبان الكنيسة القبطية إلى يوسيفوس[1] القول بأنه جاء في السنة الثالثة لحكم كلوديوس أي في سنة ٤٣ م.

ويشير يوسابيوس فيما بعد إلى إقامة أنيانوس أول أسقف لكنيسة الإسكندرية بعد القديس مَرقُص الرسول سنة ٦٢ م فيقول: «وفي السنة الثامنة من ملك نيرون سلمت إلى أنيانوس إدارة أبرشية الإسكندرية خلفاً لمَرقُص الإنجيلي»[2]

وأما مسز بوتشر فيحدد التاريخ بسنة ٤٥ م والبطريرك مكسيموس مظلوم سنة ٤٩م «وهو يقول إن القديس بطرس هو الذي أرسل مَرقُص لمصر»

ويتفق منسي يوحنا وفرنسيس العتر وابن كبر علي أنه جاء سنة ٥٥م والأب شينو سنة ٦٠ م

ويتفق أبو شاكر الراهب والأنبا إيسيذروس وحبيب جرجس وكامل صالح نخلة وإيريس حبيب المصري على أنه جاء سنة ٦١م»[3]

وهكذا لا نجد شيئاً يجيبنا على شيء، فمكان الكتابة وزمانها هو من قبيل الرجم بالغيب.

- علاقة مرقص بالتلاميذ

أما عن علاقة مرقص بالتلاميذ السبعين فالتقليد القبطي يضعه بين هؤلاء التلاميذ ويعتبره واحداً منهم، ويستند في ذلك إلى ما ذكره «ساويرس بن المقفع[4] وقد

1 - واضح أن حشر اسم «يوسيفوس» هنا في غير محله، والعبارة منقولة من كتاب ألفه أحد الرهبان، ولو كانت صحيحة لغلطت على كلام بابياس. وبالتالي لما غفل عنها الدارسون حتى سطرها هذا الراهب.

2 - فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية الكتابات اليونانية صـ ٣٤ تأليف إثناسيوس راهب من الكنيسة القبطية. الطبعة الأولى مطبعة دار نوبار شبرا ويلزم الإشارة هنا إلى أن يوسابيوس القيصري عاش في الفترة (٢٦٠ - ٣٤٠م)

3 - تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر أديب نجيب سلامة صـ ٢١ ط / دار الثقافة.

4 - القرن العاشر في كتابه سير البطاركة

تقبلت الكنيسة المصرية هذا التقليد ووضعت اسمه مع قائمة السبعين رسولاً باللغة القبطية، عن الأصل اليوناني عن ابن كبر، كما يذكر العالم الكاثوليكي ابن الصليبي في تفسيره لإنجيل مرْقُص أن مَرْقُص دُعيَ للتلمذة برفقة السبعين رسولاً، وسمى الثيوفورس أي حامل الإله، والكنيسة القبطية تدعوه بالمعلم والرسول وناظر الإله».(١)

ولكن الأب متى المسكين يرى أن هذا التقليد أسبق من ساويرس بن المقفع، فقد كان جيروم أول من ثبت تقليد الكنيسة الأولى أن مَرْقُص أسس كنيسة الإسكندرية، فكان أول أسقف عليها، الأمر الذي لم يذكره باباياس ولا إيرينيُوس ولا أكليمندس الإسكندري ولا أوريجانوس، ويعتقد الأب متى المسكين أن مرْقُص مات بالإسكندرية في السنة الثامنة لحكم نيرون أي سنة ٦٢م.

ويأسف الأب متى لأنه لم يجد أحداً من الآباء حتى نهاية القرن الخامس لا في الشرق ولا في الغرب قام بشرح إنجيل مَرْقُص، وحتى العظات المنسوبة للقديس جيروم الخاصة بهذا الإنجيل قد تبين أنها غير أصيلة وأنها ترجع إلى القرن السابع.(٢)

- هل جاء مرقص فعلاً إلى الإسكندرية؟

يعتبر تجاهل أكليمندس وأوريجانوس وهما من الإسكندرية لتقليد مجيء مرقص إلى مصر ضربة قاضية على هذا التقليد، فقد أصبح شبح البطلان يخيم على هذه الروايات من داخلها ومن خارجها.

من خارجها بتجاهل آباء الإسكندرية القدامى لها.

ومن داخلها بالتناقض الحاصل بينها، فأمامنا ثلاثة افتراضات:

الأول يقول: إن مَرْقُص أرسل إلى الإسكندرية بمفرده وأنه طاف بشوارعها، فاستاء من كثرة الشقاق بين المصريين واليونانيين بالإسكندرية، فجال في المدينة يتفقد أحوالها، حتى تقطع حذاؤه

١- الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٢٨ ، ٢٩

٢- السابق صـ ١٠٨

فتخلف عند إسكافي يدعى (أنيانوس) ليصلحه له، وبينما كان يقوم بهذا، وإذا بالمخراز ينفذ في يده فجهر الإسكافي وقال: «أيها الإله الواحد إيوس ثيؤس» فتفل مار مرْقُص على الأرض وصنع طينا وطلى به يد الرجل مستعينا بالسيد المسيح فشفيت يده في الحال !

ثم سأله: كيف يعرف الله الواحد ؟ فلم يجد جواباً يؤيد إدراكه بما نطق به، فشرح له الرسول ذلك وبين له سر التجسد،(١) فآمن وأخذه إلى بيته، حيث وعظ الجميع فاعتمدوا. ثم رسم أنيانوس أسقفا سنة ٦٢ م ومعه ثلاثة قساوسة وسبعة شمامسة، وبتأسيس الكنيسة في مصر، راح البعض يزعم إتمام نبوة إشعياء النبي «في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر» (٢) ويتتبع التقليد خطوات مرقُص، فبعد أن حل المسيح محل حورس في مدينة الإسكندرية تركها مار مرْقُص إلى الخمس مدن الغربية (ليبيا الشرقية) ومنها سافر إلى رومية حيث وقع في الأسر مع بولس، وكان بولس قد سبق أن أرسل إلى تيموثاوس يقول له «خذ مرْقُص وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة» كما جاء في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس.(٣)

الافتراض الثاني: ويقول إن بطرس أخذ زوجته مع مرقُص وقاموا برحلة إلى مصر للبشارة وافتقاد الجالية اليهودية الموجودة في بابليون مصر، والجالية الأخرى في الإسكندرية.

الافتراض الثالث يقول: إن برنابا أخذ مرقُص ابن أخته وانحدر من قبرص نحو الإسكندرية وكرزا معاً في الإسكندرية. وقد انحدر مرْقُص من قبرص إلى المدن الخمس في شمال أفريقيا، وركز كرازته في كيريني (القيروان) بالذات لأنه وطنه الأصلي، وبعدها كرز في المدن الخمس ومكث فيها

١- وهذا الشرح حول التجسد لا نجد كلمة واحدة منه في إنجيل مرقص.

٢- إشعياء ١٩ : ١٩ - ٢١

٣- موجز تاريخ المسيحية الأنبا ديوسقورس صـ ٧٧، ٧٨ ط / مكتبة المحبة.

سنتين اتجه عن طريق الساحل الشمالي إلى الإسكندرية، وكرز فيها وأسس الكنيسة ثم غادر الإسكندرية وأكمل أسفاره مع بولس وبقي معه في روما حتى استشهاده. ثم اتجه جنوباً إلى اكويلا أي فينيسيا ومنها إلى المدن الخمس للمرة الثانية، ثم الإسكندرية لثاني زيارة وفيها استشهد سنة ٦٨م [١] كما يخمن أتباع هذا التقليد.

هذه الروايات الثلاث وإن كانت تجمع على مجيء مَرْقُص إلى الإسكندرية، إلا أنها افتراضات رسمها الخيال.

فالذين اعتبروا مَرْقُص ابن أخت برنابا، افترضوا أن يكون قد جاء إلى الإسكندرية مع خاله، ويعصف بهذا أن سفر الأعمال الذي اهتم بجانب كبير من أعمال برنابا لم يتعرض لهذه الرحلة لا من قريب ولا من بعيد.

ومن قال إن مَرْقُص هو ابن بطرس، افترض أن والده أخذه في رحلة تبشيرية إلى الإسكندرية، غير أن اعتبار مرقص ابناً لبطرس ليس محل اتفاق، وكذلك التقليد الخاص بمجيئه أو وجود اسمه في قائمة السبعين ليس محل اتفاق.

- نهاية مرقص

تأتي نهاية مَرْقُص غامضة مثل حياته كلها، وتبعاً لتنقلاته الكثيرة يُفترض أن تكون نهايته قد تمت في روما، ولكن التقليد القبطي يتجاوز الخلاف حول زيارة أو عدم زيارة مرقص للإسكندرية بجعل الإسكندرية المكان الذي رقد فيه مَرْقُص، وإن كانت الكنيسة القبطية تؤمن بأن الجسد قد تعرض للسرقة بعد ذلك من قبل بعض التجار.

«يقول المؤرخون إن تجاراً من البندقية جاءوا ليلاً سنة ٨٢٨م واحتالوا على حرّاس الكنيسة واستولوا على الجسد الطاهر دون الرأس، واستودعوه في عامود رخام مفرغ، وحملوه وأقلعوا إلى فينيسيا حيث استقبلوه هناك استقبالاً مهيباً بصفته كاروز فينيسيا الأول الذي سلمهم الإيمان وعمدهم، وظلت البندقية أي فينيسيا تحت حماية شفيعها القديس مَرْقُص والأسد تحت رجليه، وليس البندقية فقط بل وكل إيطاليا تحتفظ

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٣٩ – ٤١

القديس مَرْقُص بكرامة كبيرة». [١]

وقد اعتبرت الرأس الطاهرة بمثابة الحضور الشخصي للقديس مَرْقُص، فدأب الباباوات على زيارة الرأس بعد رسامتهم، وتقديم السجود والكرامة، وبعدها يُبدأ بالصلاة ورفع البخور أمام الرأس، ثم يُقرأ مقدمة الإنجيل للقديس مَرْقُص، ويُختم بالصلاة والتحليل:

«ثم يحجب بينه وبين سائر الإكليروس ويأخذ الرأس المقدسة ويضعها في حجرة، ويُغيِّر من عليها الكسوة بكسوة جديدة من حرير، ثم يظهر للناس وهو في حجره، ليقبلوها واحداً واحداً حسب رتبهم، وبهذا يدعى البابا الجديد خليفة مار مَرْقُص، وكان الباباوات يعتبرون أنفسهم وارثين للكرسي المقدس لناظر الإله، والناطق بالإلهيات وحامل الإله، وهي كلها ألقاب مَرْقُص الإنجيلي بحسب التقليد» [٢]

ولكن هذه التقاليد تجاهلها أكليمندس وأوريجانوس أوسع آباء الإسكندرية القدامى نفوذاً، والراجح أنه وضع في فترة متأخرة لتقوية مركز البابوية في مقابل وثيقة هبة قسطنطين التي اخترعها الكاثوليك إبان العصور الوسطى لتقوية كرسي روما.

- الأدلة التقليدية على أن مرقص هو كاتب الإنجيل

ما إن ظهر إنجيل مَرْقُص حتى انطلق أتباع التقليد بكل قواهم يقدمون أدلتهم على أن كاتب الإنجيل هو أحد تابعي بطرس، أو أحد تلاميذ المسيح السبعين، ومن ثم راحوا يضعون الأدلة ما بين داخلية وخارجية على أن هذا التابع أو ذاك التلميذ هو كاتب الإنجيل.

أولاً: الأدلة الداخلية (من الإنجيل)

يرى التقليديون أن الإنجيل يقدم الكثير لتأييد أن مَرْقُص هو كاتبه، وأن بطرس كان من ورائه، ويقدم محررو دائرة المعارف الكتابية ما يعتبرونه بعض الحقائق المؤيدة ببعض الإشارات من الإنجيل، والتي تؤيد التقليد القائل بأن مَرْقُص أحد السبعين هو كاتب الإنجيل الثاني:

أ. إن التفاصيل الحية الواردة في الإنجيل لابد أنها جاءت عن شاهد عيان.

١ - السابق صـ ٥١

٢ - السابق صـ ٥٢

ب. يمكن فهم بعض التعبيرات المحيرة في قوائم الأسماء على أساس أنها ترجمة مرْقص لما جاء على لسان بطرس، كما في مَرْقُص (١: ٢٩)، فلعل بطرس قال: «وعدنا للمنزل ورافقنا يعقوب ويوحنا».

وكذلك في مَرْقُص (١: ٣٦) بالمقابلة مع وصف لوقا (لوقا ٤: ٤٢و٤٣)، مَرْقُص (٣: ١٦)، (١٣: ٣).

جـ. هناك فقرتان (مر ٩: ٦، ١١: ٢١) تصفان فكر بطرس الشخصي، وبعض الفقرات تذكر أحداثاً قد لا يذكرها إلا بطرس، كما في مَرْقُص (١٤: ٣٧و٦٦-٧٢، ١٦: ٧، وكذلك ٧: ١٢-٢٣ في ضوء ما جاء في (أعمال ١٠: ١٥).

د. ترتيب الأسماء في مَرْقُص (٣: ١٧) يناسب وجهة نظر بطرس الجليلي، أكثر مما يناسب وجهة نظر مَرْقُص الذي كان من أورشليم: (الجليل – اليهودية – أورشليم – أدومية – صور – صيدا)

إن هذه الإشارات البسيطة غير المتكلفة، لخير دليل على أن هذه لغة فرد رأى بعيني رأسه، ويتحدث عن مشاعره الشخصية.

هـ. يكتب مَرْقُص – بصفة عامة، مثلما يكتب متى – من وجهة نظر الاثني عشر، أكثر مما يكتب لوقا. كما أن مَرْقُص يكتب – أكثر مما يفعله متى – من وجهة نظر الثلاثة الذين كانوا أكثر التصاقاً بيسوع [1]

وواضح أن لغة مَرْقُص (في ٩: ١٤) هي لغة واحد من الثلاثة،[2] وقد تكون عبارة لوقا كذلك أيضاً، ولكنها ليست كذلك في متى، والمقارنة بين ما جاء في إنجيلي متى ومَرقُص، وما جاء في إنجيل لوقا (٩: ٥١-١٨: ١٤) تدعم هذا الرأي.

هذا جانب مما يقدمه التقليد من أدلة داخلية على كاتب الإنجيل الثاني، وكما ترى فإنها إشارات تصيب القارئ بالدوار، إذ أنها استنتاجات غير واضحة ولا مقنعة.

وإذ لم يرد اسم مَرْقُص صراحة في الأناجيل اكتفى أهل التقليد

١ – انظر مرقَص ٥: ٣٧ مع مت ٩:

٣٢– حيث لا يشير متى بأي إشارة إلى الثلاثة

٢ – يقصدون بطرس

بالقول: إن الكاتب كان تلميذاً لبطرس، لينتهوا إلى القول: إن الكاتب إن لم يكن بطرس فلن يكون سوى تلميذ بطرس. وهذا يوضحه الدليل الخارجي.

ثانياً: الأدلة الخارجية:

يمكن اعتبار شهادة الآباء موجزة في عنوان الإنجيل في أقدم المخطوطات، وهو: «الإنجيل بحسب مرقُص»، وهي تشير إلى الكاتب وليس إلى مصدر معلوماته، وإلا لكان من الضروري أن تكون «بحسب بطرس» وبجانب هذه المخطوطات يعتمد الدليل الخارجي على كتابات الآباء، وأهم من أشاروا في كتاباتهم إلى مَرقُص بابياس (٦٠ – ١٣٠م):

يعتبر بابياس أقدم من تكلم عن هذا الموضوع، ولم يكن يتكلم عن معرفة شخصية، بل كان ينقل – حسب قوله – عن الكاهن المكرم (؟)

ويعتقد أنه كان يتكلم عن يوحنا الشيخ[1] ومجمل أقواله أن مَرْقُص كان مترجماً لأقوال بطرس الرسول.

ولكن العلماء الآن يشكون في صحة شهادة بابياس، بل منهم من يرى أنه ينبغي بكل بساطة التخلي عنها، لأنها تعتبر تأليفاً مزيفاً.

وأصحاب هذا الاتجاه يعملون على التخلص من تلك العبارة التي ذكرها بابياس، ودون جدوى، لأنها ملأت الكتب وقد تناقلها الآباء في مؤلفاتهم القديمة، وهؤلاء الذين تناقلوها من الآباء هم أعمدة الكنيسة، وهنا ننقل جانباً من أقوالهم حول تلك الشهادة.

يقول يوستينوس الشهيد (حوالي ١٦٥م) وهو ينقل عن بابياس ومجمل تعاليمه عن إنجيل مَرْقُص أنه مذكرات بطرس. ولم يذكر إنجيل مَرْقُص مباشرة، ولكنه تكلم عن معلومة لا توجد إلا في إنجيل مَرْقُص «ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخا يعقوب وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد»[2] ولكنه لم ينسب هذا القول إلى مَرْقُص بل إلى مذكرات بطرس. [3]

١ – والبعض يجوز أن يكون هو يوحنا الرسول

٢ – مرقص ٣:١٧

٣ – الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٣٣

وأما إيرينيْوس أسقف ليون ١٣٠ – ٢٠٠م فقد نقل أيضاً عن بابياس، وقد «جاء ذكر أنجيل مَرْقُص في كتاباته عن الأناجيل، فبعد أن ذكر أن إنجيل القديس متى كُتب: «بينما كان القديسان بطرس وبولس يبشران بالإنجيل وينشئان كنيسة رومية (هكذا) وبعد أن استشهد كلاهما قام تلميذ بطرس والمترجم له لينقل لنا كتابة الأمور التي بشّر بها بطرس» [١]

أكليمندس السكندري (١٥٠ – ٢١٥م) ينقل عن بابياس كذلك. «كانت المناسبة التي كتب فيها إنجيل مَرْقُص كما يلي: بعد أن كرز بطرس علناً بالكلمة في روما، ونادى بالإنجيل بالروح القدس، توسل كثيرون من الحاضرين لمَرْقُص كواحد من الذين تبعوا بطرس زمناً طويلاً ويذكر كل ما قاله، أن يدون لهم ما تكلم به بطرس. وبعد أن كتب مَرْقُص الإنجيل قدمه للذين كانوا قد توسلوا إليه. وعندما نما ذلك إلى علم بطرس لم يعترض عليه ولم يشجبه».

ويتحدث ترتليان : من شمال أفريقيا (حوالي ٢٠٧م): عن سلطان الأناجيل الأربعة فيقول: إن اثنين منها كتبهما رسولان، والاثنين الآخرين كتبهما رفيقان للرسل، «بما فيهما ما نشره مَرْقُص، لأنه يمكن أن يعزى لبطرس الذي كان مَرْقُص مترجما له».

وينقل أوريجانوس السكندري (١٨٥ – ٢٥٤م) عن بابياس بلا حذر: «والإنجيل الثاني لمَرْقُص الذي كتبه تحت إرشاد بطرس الذي يقول عنه في رسالته الجامعة (مَرْقُص ابني) » [٢].

ويشرح يوسابيوس القيصري الفكرة فيقول: «ومع أن بطرس لم يشرع- لفرط التواضع - في كتابة إنجيل، فإنه مع هذا قد ذاع منذ البداية أن مَرْقُص- الذي كان قد أصبح من أتباعه الحميمين الملازمين له – قد سجل مذكرات بأحاديث بطرس عن أعمال يسوع».

و«في الحقيقة أن الذي يكتب هذا

١ السابق صـ ٣٣

٢ - بطرس الأولى ٥: ١٣

هو مَرْقُص، ولكن بطرس هو الذي يشهد، لأن كل ما في مَرْقُص أنما هي مذكرات أو تسجيلات لأقوال بطرس».

أما أيفانيوس : من قبرص (حوالي ٣٥٠م): فقد ذكر أنه «بعد متى مباشرة، إذ أصبح مَرْقُص من تابعي القديس بطرس في روما، أوكلت إليه كتابة إنجيل، وإذ أكمل عمله، أرسله القديس بطرس إلى مصر».

وأخيراً القديس جيروم (٣٤٢ – ٤٢٠م) ذكر أن مَرْقُص هو أول أسقف على كنيسة الإسكندرية، وقد نقل شهادة بابياس دون حذر.[١]

فقد شهد أن القديس مار مَرْقُص الرسول قام بتأسيس مدرسة الإسكندرية من أجل تثبيت الموعوظين الجدد على أساس راسخ، سواء هؤلاء الذين من أصل أممي أو من أصل يهودي، وكانت هذه المدرسة التعليمية مركزاً للدراسات المسيحية وللعلوم القدسية ومن أشهر علمائها بنتينوس وأكليمندس وأوريجانوس وديديموس الضرير» [٢]

وليس ثمة سبب معقول يدعو إلى الشك في أن الإنجيل الثاني هو المشار إليه في كل هذه الأقوال.

- الوثيقة الموراتورية.

وثيقة موراتوري جذاذة صغيرة، ترجع إلى حوالي ١٧٠م، وهي تقدم قائمة بأسفار العهد الجديد مع كلمة موجزة عن كل كاتب. وقد فُقِدَ ما جاء عن متى ومعظم ما جاء عن مَرْقُص، ولم يبق عن مَرْقُص سوى عبارة مقتضبة.

وقد طبعها ل. أ. موراتوري سنة ١٧٤٠م، وهي في أجزاء شديدة التلف من مخطوط يرجع تاريخه إلى القرن السابع أو الثامن في مكتبة أمبروزيان في ميلانو، وتحوي الأسفار المعروفة في روما في الفترة ١٧٠ – ١٩٠م وجملة الافتتاح جاءت ناقصة وهي تعني إنجيل مَرْقُص إذ أنها متبوعة بـ (الإنجيل الثالث بحسب لوقا) وهي

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ١٠٧

٢ - حياة وفكر كنيسة الآباء تأليف القس إثناسيوس فهمي جورج صـ ١٥٤ ط / دار الكتاب المسيحي وبنتينوس كان سابقاً على جيروم وقد مر علينا في الفصل السابق ذهابه إلى الهند.

تقص نفس قصة بابياس أن الأشياء التي قالها بطرس سجلها مرقُص»[1].

فهذه الوثيقة بالإضافة إلى الأسماء المذكورة بعاليه، تمثل كنائس القرن الثاني والثالث والرابع، كما تمثل في الواقع كل ركن من أركان العالم الروماني.

وواضح جداً أن الرأي الشائع هو أن مرقُص كتب إنجيله الذي أعطانا فيه – أساساً– تعليم بطرس.

وممن دافعوا عن التقليد في العصر الحديث العالم رايزنفلد (١٩٥٤م) وهو عالم سويدي قدم دفاعه ضد النقد الذي يقول بتعدد المحررين لإنجيل مرقُص، في كتاب أسماه «التقليد والتحرير في إنجيل مرقُص» بمعنى أن كاتب الإنجيل هو الذي يقوم بتحريره حسب التقليد الموروث، مؤكداً أن مرقُص كتب إنجيله بأكمله مرة واحدة كاملة بنفسه، وأن ترتيب الإنجيل هو نتيجة رؤية مرقُص اللاهوتية.[2]

وكذلك كرانفيلد ألف كتابه في شرح إنجيل مرقُص سنة ١٩٥٩م ورفع مستوى إنجيل مرقُص في تقديمه للمسيح فأصبح على مستوى إنجيل يوحنا.[3]

كانت هذه هي مجمل أدلة التقليد الكنسي على أن مرقص هو كاتب الإنجيل المعروف لدى الكنائس بالإنجيل بحسب القديس مرقص.

وقد سقناها كما هي دون تحريف أو تغيير، والآن جاء الدور لنناقشها في ضوء النقد الحديث.

---

١ – الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٣٣

٢ – السابق صـ ١٠٩

٣ – السابق صـ ١١٢، ١١٣

المبحث الثاني

مناقشة أدلة التقليد الكنسي حول الكاتب

إنه ما من سفر من أسفار العهد الجديد إلا ويدور حول مؤلفه شقاق وجدال طويل. ولا يشذ عن هذه القاعدة مؤلف إنجيل مرقُص، غير أن الخلاف هنا متعدد الاتجاهات، فالتقليد يطرح دائماً اسم مرقُص كمؤلف لهذا الإنجيل، والمدارس النقدية تنفي ما يثبته التقليد، ومع ذيوع هذه المدارس وتشعبها إلا أنها لا تقدم بديلاً لمرقُص، ولهذا يبقى التقليد تقليداً، ويبقى النقد نقداً، وبين هذا وذاك تمضي بارجة البحث اللاهوتي رافعة راية العجز عن القطع باسم مؤلف الإنجيل..

تبدأ الدراسات التقليدية حول كاتب الإنجيل الثاني – كما قلنا – بطرح اسم مرقُص، وسرعان ما تنتهي إلى أن مرقُص هو كاتب الإنجيل، وتأتي كلمة الدراسات النقدية لتنفي ما ابتدأ منه وما انتهى إليه التقليد. وتظل الإجابة التلقائية نفياً أو إثباتاً لكل فريق على طريقته التقليدية أو النقدية، فبينما الإنجيل مكتوب باليونانية تقترح الكنائس التقليدية دائماً اسم أحد أبناء الجالية اليهودية، إن محاولة تحديد اسم الكاتب بهذه الطريقة أشبه بمن يفحص بردية فرعونية محاولا تحديد اسم كاتبها بالبحث فيما توفر لديه من سجلات أسماء أهل الصين. ولهذا تجاهل كثيرون التقليد، وهم في ذلك طرائق شتى:

– فمنهم من يرفض اسم مرقُص أصلاً.

– ومنهم من يرفض إملاء بطرس له.

– وهناك طائفة أعياها البحث فأصبحوا لا يعنيهم اسم الكاتب كائناً من كان، والإنجيل في اعتقادهم[1] مثل كل أسطر الكتاب المقدس من إملاء الروح القدس، حيث «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»[2]

فمن هم أناس الله ؟

أهم فلاسفة الإغريق أم الرسل العبرانيون؟

إن قبلنا عرض كل دعوى في الإجابة على هذا السؤال وجدنا

---

١ – تفسير إنجيل مرقُص هلال أمين موسى ط/ أوتوبرنت

٢ – رسالة بطرس الثانية ١: ٢١

الهراطقة يدعون ما يدعيه التقليديون، والتقليديون يدعون ما يَدعيه الهراطقة، ويحتاج المرء إلى ما يحمله على التصديق بأن هذا الشخص المجهول هو مختار من الله دون ذاك. ونحن وإن اختلفنا في التفاصيل عن الدعوى التقليدية أو النقدية فلن نخرج في النهاية عن ذات النتيجة التي قيدت الإنجيل بخط مجهول.

ولا يعني الوصول إلى هذه النتيجة التوقف عن البحث، بل ينبغي تكرار المحاولة، فقد نضيف ما يبني عليه في محاولات قادمة. وقد يُفتح في لحظة طريقاً حسبناه مسدوداً قروناً طويلة، لهذا يصبح من الضروري أن تعاد دائما مناقشة أدلة التقليد الكنسي الداخلية والخارجية.

أولاً: مناقشة الأدلة الداخلية

لم تعد نسبة الإنجيل الثاني لمَرْقُص محل اتفاق بين النصارى، ورغم ذلك اعتاد التقليديون سرد إشارات مختلفة من الإنجيل، والإصرار على أنها تدل على أن الكاتب هو مَرْقُص، فالأبحاث التقليدية مملوءة برموز هي في الواقع بعيدة عما تشير إليه، ويبدو أن الهدف هو إلحاق المشقة بمن يحاول معرفة الحقيقة والاقتناع بها، وإننا في سبيل الفصل بين الحقيقة والخيال سوف ننقل ما عز عليهم نقله من نصوص، وسنعمل على تحويل الإشارة إلى عبارة، وتحليل معني كل عبارة وتمحيص مضمونها، لنكشف عن قيمة الدليل.

إن ما سبق ونقلناه من إشارات يظن أتباع التقليد الكنسي أنها مستقاة من الإنجيل هي أمور عامة تصدق على مَرْقُص وعلى غير مَرْقُص، فلو وضعت اسماً غير مَرْقُص مع كل دليل من أدلتهم الداخلية ما كان الدليل بأقل ولا بأكثر مما هو عليه الآن، بل ربما كان من الأفضل فعل ذلك.

ومن هنا تختلف هذه الأدلة من باحث إلى آخر، وما تجده عند باحث قد لا تجده لدى آخر، فباب الاجتهاد مفتوحٌ ليجتهد كل باحث كما يتراءى له ليصل في النهاية إلى النتيجة المسلمة من التقليد.

ومن الواضح عدم جدية هذه الأدلة بمجرد النظر فيها، فما قيمة أن يقول التقليد: إن التفاصيل الحية الواردة في الإنجيل لا بد أنها جاءت عن شاهد عيان؟

ما قيمة ذلك إذ لم تحدد هذه التفاصيل اسم هذا الشاهد؟.

ومن أدلتهم أنه يمكن فهم بعض التعبيرات المحيرة في قوائم الأسماء على أساس أنها ترجمة مَرْقُص لما جاء على لسان بطرس، والمثال على ذلك هو ما جاء في العدد ٢٩ من الإصحاح الأول، فلعل بطرس قال: «وعدنا للمنزل ورافقنا يعقوب ويوحنا». وحاكاه مَرْقُص على هذا النحو: «ولما خرجوا من المجمع جاءوا للوقت إلى بيت سمعان وأندراوس مع يعقوب ويوحنا»[١]

فهذا دليل على أن الكاتب هو مَرْقُص. ولا تعليق عليه بأكثر من هذا !

والحق أن كل الأدلة الداخلية التي تساق إليك، هي على شاكلة هذه الإشارة، وليست بأفضل حالاً من المثال السابق، فهي في أغلب الأحيان إشارة عابرة، بل وخارجة عن الموضوع، مما يصيب المتتبع بالحيرة، ومن ثم يحاول الرجوع إلى أكثر من موضع، واضعاً في اعتباره احتمالية الأخطاء المطبعية، وفي النهاية لو قلت إن تلك أدلة، فيمكنك عندئذ الاحتجاج بأي كلام على كل قضية.

ومن الأمثلة قول مَرْقُص في العدد ٣٦ من الإصحاح الأول: «فتبعه سمعان والذين معه» وفي لوقا: «ولما صار خرج وذهب إلى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم، فقال لهم إنه ينبغي لي أن أُبشر المدن الأُخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا أرسلت»[٢].

ولو قارنا هذه العبارة بتلك ما اتضح لنا أن ما استنتجه التقليديون من الدلالة على أن كاتب عبارة «فتبعه سمعان والذين معه» هو مَرْقُص تلميذ بطرس، فهذا استنتاج غير صحيح، بل إن استخدام الضمائر نيابة عن الأسماء الظاهرة يعبر عن مهارة الكاتب، ومن تكون الجموع سوى أصحاب المسيح؟.

فهل ثمة جديد في ما وصلوا إليه؟.

وكذلك يستدل أتباع التقليد بقول مَرْقُص: «وجعل لسمعان اسم بطرس» على أن الكاتب هو

١- مرقص (١: ٢٩)

٢- لوقا ٤: ٤٢و٤٣

مَرْقُص، مع أن هذا النص وارد في متى ١٠ : ٢، وفي لوقا ٦ : ١٤ فما الذي ينفرد به مَرْقُص حتى نخصه بهذا الاستنباط الغامض، وعلى أي اعتبار نقول إنه كاتب الإنجيل الثاني دون الأول والثالث؟

وقول الكاتب في الإصحاح الثالث عشر، العدد ٣: «فأجاب يسوع وقال له أتنظر هذه الأبنية العظيمة، لا يترك حجرٌ على حجرٍ لا يُنقض».

هذه الفقرة واردة في متى ٢٤ : ١ – ٢

وفي لوقا أيضاً ٢١ : ٥–٦، وهي وإن اختلفت ترجماتها فلن يتغير القصد منها، لأن المعنى واحد. فهل اختلاف الترجمة تجعل هذا النص يدل على الكاتب في إنجيل دون الآخر ؟

ومن الأدلة التقليدية كذلك أن بعض الفقرات تذكر أحداثاً قد لا يذكرها غير بطرس، وكأنه لم يكن يتبع المسيح سوى بطرس، ثم أين الأسس العامة لفكر بطرس الذي يقيسون عليه كل هذا؟

والغريب أنهم يستدلون بعبارات تتعلق ببطرس، بينما منها ما يقلل من مكانة بطرس: «لأنه لم يكن يعلم ما يتكلم به إذ كانوا مرتعبين»[١]

ومنها أنه ذكر المسيح بدعوة كان قد دعاها على شجرة التين «فتذكر بطرس وقال له يا سيدي انظر التينة التي لعنتها قد يبست»[٢]

فهاتان الفقرتان من وجهة نظر التقليديين تصفان فكر بطرس، وهذا دليل على مدى القصور في الفهم والاستنتاج، فكأنه لن يقدر كاتب أن يكتب مثل هذه العبارات سوى مَرقُص، ولن يتذكر ما قاله المسيح بالأمس سوى بطرس.

وعلى كل الأحوال فإن النص الأول يشير إلى أن بطرس لم يكن في وعيه، فهو يتحدث بالهذيان، مع أننا نلاحظ التناسب في كلامه، فهو يقول: «فلنصنع ثلاث مظال، واحدة للمسيح وواحدة لموسى وواحدة لإيليا»

فهذا الترتيب والتنظيم في كلام بطرس هو أكبر دليل على أن الذي لا يعي ما يقول هو الكاتب وليس القائل.

وأما النص الثاني فهو دليل على

١ – مرقص ٩ : ٦

٢ – مرقص ١١: ٢١

عدم الأمانة في النقل، فالمسيح جاء ليعطى الأجسام الميتة الحياة، والعشب اليابس خضرته ونضارته، فما بالنا وهو يدعو على الأخضر ليجف؟

ألا ينافي كون رسالته رسالة خير وبركة؟

لماذا لا يدعو لهذه الشجرة ولكل شجرة بإنتاج الثمر الوفير لمنفعة العباد؟

هنا تظهر المعجزة التي تلتقي مع الهدف من الرسالة، ولكن القوم حسبوا جفاف التينة معجزة، فتشابهت المعجزة بفعل المفسدين في الأرض، وتحولت التينة الخضراء إلى شجرة يابسة.

ويمضى محررو دائرة المعارف الكتابية في طرح فقرات من الإنجيل يعتقدون أنها تشير إلى مَرقُص، وبالطبع من ورائه بطرس الرسول، فبعض الفقرات تذكر أحداثاً قد لا يذكرها إلا بطرس، ومن ذلك: «وقال لهم يسوع إن كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة، لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد الخراف»[١]

فهذا النص في نظرهم لا يصلح لنقله سوى بطرس (!!)

وكما في مَرقُص «وبينما كان بطرس في الدار أسفل، جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة، فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت: وأنت كنت مع يسوع الناصري، فأنكر قائلاً: لست أدري ولا أفهم ما تقولين، وخرج خارجاً إلى الدهليز، فصاح الديك، فرأته الجارية وابتدأت تقول للحاضرين إن هذا منهم، فأنكر أيضا وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس حقاً أنت منهم لأنك جليلي أيضاً ولغتك تُشبه لغتهم، فابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولين عنه، وصاح الديك ثانية فتذكر بُطرس القول الذي قاله له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات، فلما تفكر به بكى»[٢]

وهذا النص الذي سقناه بتمامه يدل على عكس ما ذهب إليه التقليديون، إذ هو لا يعبر عن فكر وإنما عن جبن بطرس، ذلك أنه رفض الاعتراف بالمسيح خشية على حياته، وكأن حياة المسيح هي

مرقص ١٤ : ٣٧

٢ – ١٤ : ٦٦ – ٧٢

أرخص من حياة بطرس.

ولو قلنا إن هذه الصورة دليل على أن مَرْقُص هو الكاتب، يجب أن يكون هو كاتب الأناجيل الأخرى. فالقصة موجودة في: متى ٢٦: ٦٩ – ٧٥.

وفي لوقا ٢٢ : ٥٦ – ٦٢

وكذلك في يوحنا ١٨ : ١٥ – ١٨ و ٢٥ – ٢٧.

فما الذي يمتاز به إنجيل مَرْقُص عن بقية الأناجيل، حتى جُعل دليلا على اسمه في إنجيل دون الآخر.

ومن أدلتهم أيضاً أن ترتيب الأسماء في العدد ١٧ من الإصحاح الثالث من مَرْقُص يناسب وجهة نظر بطرس الجليلي، أكثر مما يناسب وجهة نظر مَرْقُص الذي كان من أورشليم، وكأنهم قد اتفقوا على أن مَرْقُص من أورشليم، مع أنهم لم يعرفوا من هو مرقص أصلاً، ولا ترى قوماً يتفقون على صحة الفروض كهؤلاء، وكل فرض يبني عليه الذي يليه، والفرض الأساسي الذي بنيت عليه كل الفروض هو فكر بطرس، فكلما وقعت عيونهم على فكرة قالوا: هذا يعبر عن فكر بطرس، فمن أين عرفوا فكر بطرس ؟

لقد قبلت إحدى رسالتي بطرس بصعوبة، والأخرى أضيفت على حين غفلة دون أن تحظى بإجماع من الكنائس في القرن الرابع، كثيرون من الآباء رفضوها، ولا يزال كثيرون يطالبون حتى يومنا هذا بشطبها من بين أسفار العهد الجديد.

– نهاية إنجيل مرقص

وإذا كان للتقليديين أن يعتقدوا أن كل نص في الإنجيل يصح أن يكون دليلاً على الكاتب فليس لهم أن يشملوا نهاية الإنجيل بهذا الاعتقاد، فهناك مشكلة بخصوص الأعداد من ٩ – ٢٠ من الإصحاح الأخير وتتلخص في السؤال:

هل هذه الأعداد أصيلة في الإنجيل أم هي مضافة إلى الإنجيل بعد قبوله بفترة أو بعد ضياع النهاية الأصلية؟

لقد ظهر هذا السؤال نتيجة لعاملين مهمين جداً :

الأول: إن أهم مخطوطتين قديمتين وهما الفاتيكانية والسينائية لا توجد بهما هذه الأعداد، وكذلك مخطوطات أخرى أقل أهمية منهما إلى جانب ذلك عدد كبير من الترجمات القديمة المعتمدة مثل

السريانية والآرامية.

ومن يدقق الدراسة فإنه يدهش لما يبديه (ع٩) بخصوص مريم المجدلية كأنها ذكرت للمرة الأولى في الإصحاح لأنه يحاول التعريف بها في نفس الوقت الذي يذكرها في العدد الأول على أنها شخصية معروفة ولا تقل في ذلك عن مريم أم يعقوب وسلومة.

الثاني: أن العدد ٨ الذي يعتقد العلماء أنه نهاية الإنجيل لا يصلح أن يكون نهاية، فالترجمة الحرفية له تنتهي بكلمة (لأنه) ولا يعقل أن ينتهي كتاب هكذا، وليس ذلك فقط، بل كيف يمكن لمرقص وهو الإنجيلي الذي يظهر رسالة الإنجيل في أول كتابه، وأن ملكوتاً قد جاء، ينهي هذا الكتاب نفسه بوصف حالة النساء بأنهن كن خائفات.؟

وعلى كل حال ينتهي الدارسون إلى النتيجة المنطقية بأن الكاتب لم يترك إنجيله هكذا، لا بد وأنه كتب له نهاية ولكنها فقدت لسبب ما. إن كل شيء جائز إلا أن ينتهي الإنجيل بنهاية العدد الثامن.[1] والنهاية الموجودة بعد هذا العدد ليست في أقدم النسخ وأصحها، كل ما هناك هو أنها وجدت مؤخرا في نسخ أقل قيمة ومتأخرة في ترتيبها الزمني، كما أن أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل حتى إنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل. ولهذا فأمامنا أحد احتمالين:

الأول: أن يكون الكاتب قد مات قبل أن يتم كتابة إنجيله.

الثاني: أن تكون النسخة الأصلية للإنجيل قد بلي جزؤها الأخير.[2]

ويقدم باركلي في نهاية شرحه للإنجيل احتمالا ثالثا، مبني على السابقين وهو أن يكون أحدهم قد لخص عمل الكنيسة وحياتها ووضع هذا الملخص ليكون بديلا عن تلك الفقرة المبتورة، وكاتبها يعلم أن للكنيسة عملاً مهماً يجب أن يقوم به.

ونضيف احتمالا رابعا وهو أن تكون نهاية الإنجيل المفقودة تحتوي على اسم كاتب الإنجيل المنتمي إلى جماعة نعتت بالهرطقة

---

[1] – المدخل إلى العهد الجديد فهيم عزيز صـ ٢٣٠، ٢٣١.

[2] – باركلي في مقدمة شرحه لإنجيل مرقص.

من قبل جماعات أخرى في هذه الأيام، فاستبعدت المقدمة لتجاوز بعض صور الخلاف.

وهكذا نصل من كل هذه الإشارات إلى المزيد من الافتراضات والأوهام. فالأناجيل الثلاثة متى ومَرْقُص ويوحنا تعاني من مشاكل في خاتمتها، فمنها ما ضاعت نهايته مثل مَرْقُص الذي وضعت له نهاية غير النهاية الأصلية، أو إضافة نهاية بعد النهاية كما في يوحنا، أو تحريف في النهاية مثل إنجيل متى، فبأي حال يشغل رجال اللاهوت أنفسهم بخاتمة مَرْقُص؟

ألا يغني إنجيلي متى ولوقا عن هذا الإنجيل برمته؟

أم أنه لا بد من إنجيل تحت اسم مرقص يكون منفذاً لمعرفة آراء ومواقف بطرس؟

ثانياً: الأدلة الخارجية:

لن تكون الأدلة الخارجية بأحسن حالاً من الأدلة الداخلية، ذلك أنها تجميع لأقوال الآباء من كل اتجاه، وكل هذه الأقوال لا تعدو أن تكون تخمينات، ولا فرق في التخمين بين أن يكون صادراً عن الآباء أو الأبناء، فالكل ينقل عن بابياس، وما بابياس إلا يونانياً متواضع الثقافة والفهم، ألف كتبه الخمسة دون أن يحدثنا عن رؤيته لأحد رأى المسيح، ولم يصرح بأنه يعرف أياً من الإنجيليين الأربعة.

لقد سمع عن أسماء بعض الأناجيل وربما رأى بعضاً آخر، فرأى أو سمع عن إنجيل متى العبراني، ولكنه لم يعرف الإنجيل الحالي، وسمع أن مرقص كان مترجماً لبطرس، ولا توجد دلائل على أنه كان يقصد الإنجيل الحالي، فهل إذا جعل إنجيلاً «بحسب متى» وآخر «بحسب مرقُص» صار كلامه حجة قاطعة على العباد.

لقد كان بابياس أول من ذكر مرقُص، في كتبه الخمسة «تفسير كلمات الرب»، وهذه الكتب وصلت إلى المؤرخ الكنسي يوسابيوس في القرن الرابع الميلادي، فسجل محتواها في كتابه «تاريخ الكنيسة» ثم ضاعت من بعده، ولا زلنا إلى اليوم لا نعرف بابياس إلا من خلال تاريخ يوسابيوس، فهل سمع بابياس من الرسل؟

وهل رأى مرقُص؟

لا يتحدث بابياس عن معرفة شخصية، بل صرح بأنه كان ينقل عن الكاهن المكرم.(؟) وهنا يخمن

الآباء: من يكون الكاهن المكرم ؟

وهكذا يتوقف إيمان القوم على معرفة الكاهن المكرم، وتطمئن قلوبهم لا بالمعرفة وإنما بالإيمان الذي يفترض أن هذا المكرم كان هو يوحنا الشيخ، وبعضهم يركب دماغه فيزعم أنه كان الرسول، وليس في كتب بابياس ما يدل على ذلك، ولو اطلع يوسابيوس على ما يقطع الشك باليقين في كتبه ما تركه، إذ نلحظ أنه رجع إلى كتب بابياس لتحصيل أية معلومات تتعلق بالإنجيليين الأربعة، ولما عجز عن الخروج برأي قاطع نعت مؤلف هذه الكتب بالغباء، وهذا أمر نادر الحدوث بين الكتاب في تلك العصور.

إن مجمل كلام هذا الغبي: أن مَرْقُص كان مترجماً لأقوال بطرس الرسول.

وهذا هو الأساس لأقوال الآباء، وتبعاً للتاريخ تجتاز هذه الأقوال ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة بابياس.

الثانية: وتشمل الآباء بين بابياس ويوسابيوس:

الثالثة: وتشمل الآباء بعد يوسابيوس.

وفي المرحلة الثانية والثالثة فقد التقليد قيمته، ولم يعد احتمال بقاء أحد من الرسل على قيد الحياة قائماً، فقد مات الرسل جميعاً ودخلت المسيحية مرحلة جديدة بكل تفاصيلها.

وتشهد الفترة من بابياس إلى يوسابيوس أسماء كثيرة نذكر منها:

١. يوستينوس الشهيد : حوالي ١٦٥م

٢. إيرينيُوس أسقف ليون ١٣٠ – ٢٠٠م

٣. أكليمندس السكندري (١٥٠ – ٢١٥م)

٤. ترتليان : من شمال أفريقيا (حوالي ٢٠٧م):

٥. أوريجانوس السكندري (١٨٥ – ٢٥٤م)

٦. يوسابيوس القيصري: من قيصرية (حوالي ٣٢٥م):

فهؤلاء جميعاً ينقلون مباشرة من كتب بابياس، وبما أن بابياس هذا مقطوع الصلة بالرسل، فيبقى ما بعده مقطوع الصلة كذلك، فمهما تعلق الآباء بكلام هذا الرجل فلن يكونوا واصلين إلى الرسل، وإن ملأت سجلات أسمائهم مد البصر،

سيظل الأمر في حدود التخمين في كل اتجاه.

وهناك آباء جاءوا بعد يوسابيوس نذكر منهم:

أيفانيوس : من قبرص (حوالي ٣٥٠م):

القديس جيروم (٣٤٢ - ٤٢٠م)

وقد أحالهما يوسابيوس مع كل محبي الإطلاع من بعده إلى كتابات بابياس، ولكنهما لم يخرجا منها إلا بما أقره يوسابيوس من قبل، ويبدو من هذا الاتفاق أنهما لم يطلعا على ما كتبه بابياس، فليسا بأفضل حالاً من السابقين، وحال علماء اللاهوت الآن لن يكون بأفضل ممن كانوا عليه بعد أو قبل يوسابيوس. فالكل يكرر قولاً قاله بابياس.

ومن الواضح أن هذه المشكلة حيرت الكنيسة، وهي مسألة تقنعنا بأن الخلاف لم يكن من نتاج نقد حديث، بل يظهر لأي قارئ للأناجيل أيا كان القرن الذي يعيش فيه.

ونتيجة لضعف تقليد بابياس اهتزت مصداقية إنجيل مرقص:

فراح البعض يلومه على المحذوفات.

والبعض على إهماله في ترك بعض الأجزاء.

والبعض على عجزه في الحفاظ على التسلسل الزمني.

والبعض على مبدأ الانتقاء غير العادي الذي انتهجه.

وقد عالج التقليد هذه الأمور بطريقتين:

الأولى: الإدعاء بأن أصابع مرقص كانت قصيرة (!!)

لقد اخترع الآباء تقليداً يفسر لماذا لم يكن إنجيل مَرْقُص كافياً، فزعموا أن أصابعه كانت قصيرة، وأرجعوا هذا التقليد إلى ما كان من دأب الذين ينسخون أسفار العهد الجديد قديماً أن يفتتحوها بمهاجمة ماركيون الهرطوقي، وقد وصل من هذه المقدمات وصف لإنجيل القديس مَرْقُص ضائع منه بعض سطوره الأولى ولكنه يستمر قائلاً: «مَرْقُص أعلن ... وكان يسمى ذا الإصبع الصغير، لأنه كان له إصبع قصير، وكان مترجماً ومفسراً لبطرس، وبعد موت بطرس كتب إنجيله في أماكن بإيطاليا»

ويوافق العالم المؤرخ هارينك على صحة هذه المقدمة ويحدد زمنها بسنة ١٦٠ - ١٨٠ م ولكن بفحص هذه المقدمة يظهر أنها مأخوذة من قول بابياس، وهي

تعطى معلومة جديدة وهي أن مَرْقُص كان له أصابع صغير، هذه المعلومة متأخرة تاريخيا نوعاً ما عن بابياس، وقد ذكرها هيبوليتس ولكن بسبب ذكرها في مقدمة من القرن الثاني موجهة ضد ماركيون أصبحت ذات وزن تاريخي عال»[١] وأصبحت معبرة عن الحكمة من صغر حجم إنجيل مَرْقُص.

الثانية: نسبة الإنجيل إلى بطرس.

حيث من الواضح أن بابياس كان يقدر تقديراً كبيراً حجية إنجيل مَرْقُص، ويرد على مزاعم الناقدين ببساطة شديدة بقوله: إن إنجيل مَرْقُص ليس هو المصدر الأول للمعرفة عن المسيح، وإنما هو الثاني، وأن المصدر الأول هو تعليم بطرس، وعلى هذا فإن المحذوفات راجعة إلى أن إنجيل مَرْقُص هو في حقيقة أمره محصور في ذكريات بطرس الهرم، ومثل هذه الذكريات كانت إلى أبعد مدى غير منطقية، وهو ما يمكن تبينه من ذكريات الطفولة السريعة التقلب، والتي تكون على هيئة نوبات، أحيانا تكون نابضة بالحيوية، وأحيانا أخرى تترك فترات طويلة منها خالية تماما من أي ذكريات، ويقول التقليد إن مَرْقُص حصر نفسه في هذا المصدر بعينه»[٢]

ولا يتفق المعاصرون على أن بابياس قد نجح في محاولته، فيقر الأب متى المسكين بأن بابياس قد قضى على مصداقية مَرْقُص دون أن يشعر، يقول الأب متى المسكين: «أما تقليد جميع المؤرخين القدامى الآخرين الذين سجلنا أقوالهم فهي نسخة من أقوال بابياس الذي بقوله إن القديس مَرْقُص لم ير الرب ولا سمعه يكون قد ألغى كل مصداقية أقواله فيما يخص القديس مَرْقُص وإنجيله، هذا الموقف الذي تسبب في حجب قيمة إنجيل مَرْقُص عنا كل القرون السابقة»[٣]

وهذا الاتجاه الذي رفضه الأب متى المسكين تمسك به رجال

١ - الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٣٢

٢ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـ ٣٢

٣ - الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٣٦

اللاهوت قديماً، وقدم كثيرون من العلماء ما جاء في وثيقة بابياس على ما ذكره سفر الأعمال، فمن الواضح لمحرري دائرة المعارف الكتابية من أقوال بابياس، أن إنجيل مَرْقُص – في جوهره– هو لبطرس، فمَرقُص يدعى تلميذاً وتابعاً ومترجماً لبطرس. ويرجع أوريجانوس في هذا الخصوص إلى قول بطرس: «مَرْقُص ابني».

وكلمة «تلميذ» تفسر نفسها، وكذلك كلمة «تابع» التي لا تعنى مجرد رفيق في السفر، أما كلمة «مترجم» فأقل منهما وضوحا، فيرى البعض أنها تعادل كلمة «مترجم» بمعناها المعروف، أي أن مَرْقُص إما ترجم أقوال بطرس الآرامية إلى اللغة اليونانية للمسيحيين الهيلينيين في أورشليم، أو أنه نقل أقوال بطرس اليونانية إلى اللغة اللاتينية للمسيحيين في رومية.

ويرى البعض الآخر أنها تعنى «مفسرا» أي أن مَرْقُص سجل كتابة ما علَّم به بطرس شفاهاً.[١]

وأما الوثيقة الموراتورية فهي متهالكة، وغير واضحة، بل هي كما يقر العلماء كافة شديدة التلف، ويختفي منها اسم مَرْقُص تماماً، وهناك من يؤمن بأنها «نص محرف فيما يتصل بهذه المسألة وغير واضح، فقد فهمت عباراتها المتقطعة بصور مختلفة، ويرى زاهن أنها تعنى: « ... في بعض الأحداث كان موجوداً، فقام بتسجيلها».

ويقول تشيز وآخرون: أن المعنى هو أن مَرْقُص – الذي يحتمل أنه هو الشخص الذي قد قالوا عنه أنه لم يكن ملازماً لبطرس باستمرار – كان حاضراً عند إلقاء بطرس لبعض أحاديثه فقام بتسجيلها.

ويعتقد «تشيز» أن العبارة التالية والتي تتعلق بلوقا تدعو إلى الاعتقاد بأن مَرْقُص ولوقا لم يريا «الرب»، ولكن لعل الذي كان في ذهن الكاتب هو بولس وليس مَرْقُص، ولكن هذا التفسير يضعف– إلى حد ما– من ارتباط مَرْقُص ببطرس.[٢] وهي مسألة تصر الكنائس التقليدية عليها بأي

١ – دائرة المعارف الكتابية (مادة إنجيل مرقص)

٢ – السابق نفس الموضع

ثمن، مع أن آخرين أكثر تمسكاً بالتقليد اعتبروا مَرْقُص شاهد عيان.

إن «كل ما نستطيع أن نتعلمه من هذه القائمة عن إنجيل مَرقُص هو ما جاء في نصف هذه الجملة الوجيزة، على الأقل يتضح أن تلك القائمة كانت محاولة لإثبات ما هو متعارف عليه الآن، من أن مَرقُص لم يكن هو بذاته شاهد عيان لغالبية الأحداث التي يسجلها، وإن كان من الممكن أن يكون كذلك بالنسبة لبعضها كما كانت تعتبر دفاعاً مألوفا عن دقة مَرقُص، فهو يسجل الأحداث والأمور كما سمعها بالضبط أي أفعال يسوع.

إن كاتب لائحة الأسفار هذه التي تعود إلى القرن الثاني للميلاد كان على أقل تقدير على وعي بالنقد الموجه ضد مَرقُص، وقد أورد هذه المقولة كدفاع عنه».[١]

وعلى كل الأحوال فهذه الوثيقة ترجع إلى كتب بابياس، وهي لا تضيف إلى التقليد أكثر من تكرار فكرة أطلقها بابياس، ولهذا لم يحتج بها العلماء إذ وجدوها تفتح النقد على مصراعيه على أسفار العهد الجديد كلها، حيث لا توجد فيها بعض هذه الأسفار، فلو اعتبرنا ما هو موجود فيها صحيحاً، فيجب اعتبار ما لم يرد فيها خارج دائرة الصحة. ولكن التقليد يقتنع بالاعتبار الأول دون الثاني.

– علاقة مَرْقُص ببطرس:

نأتي إلى مسألة علاقة مَرْقُص ببطرس، حيث يختلف علماء اللاهوت حولها إلى اتجاهين متضادين:

الاتجاه الأول: ينفي أن تكون لمَرقُص أية صلة ببطرس.

فقد ألف ادوارد شفيتزر شرحاً لإنجيل مَرقُص ينفي فيه قطعاً أي صلة للقديس بطرس بإنجيل مَرقُص، ويعطي أسباباً لذلك.

إن أول اعتراض (بالبحث في إنجيل مرقُص) أنه لا يوجد هناك أي تقليد معين عن بطرس في إنجيل مَرْقُص.[٢]

وعلى درب هذا الرجل كثيرون،

١ – التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـ ٣٦

٢ – الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ١١٢ ، ١١٣

اعتقدوا أن مرْقُص ليس من فلسطين، وبالتالي يبعد أن يكون هو مرْقُص ابن بطرس أو ابن أخت برنابا.

فهؤلاء يرون «أن عائلة مَرْقُص قبلت الإيمان المسيحي أثناء وجودها بأورشليم وذلك في يوم الخمسين حينما حضر رؤوس العائلات عيد الفصح وتعوقوا ليوم الخمسين»[١]

وحجتهم في ذلك ما جاء في أعمال الرسل: «وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم»[٢]

ولا شك أن نتيجة هذا الرأي رغم عدم وضوح أدلته في غاية الخطورة على وضع الإنجيل الثاني، فإذا لم تساعد المعطيات المتاحة الكنيسة على حشر اسم مَرْقُص ضمن قائمة التلاميذ، فسوف تكون الخسارة من جهتين، وسوف يجد التقليد نفسه بين طرق كثيرة، ولكنها غير صالحة للسير عليها، فماذا لو كانت الكنيسة هي التي صاغت الأناجيل؟

ألا يجوز أن تكون تلك الأناجيل صورا لشخصية المسيح مفروضة عليها من الخارج؟

ولو كانت الصورة التي رسمتها الكنيسة للمسيح خاطئة هل في إمكانها أن تعيد رسم صورة أخرى؟.

يجيب على هذه الأسئلة ر. ألان كول بأن الأمر لو كان حقاً كذلك فإن وضعنا ولا شك ميئوس منه، ولا يكون لنا أدنى رجاء في المسيح»[٣]

ولعل أقسى المحن إقرار الإنسان وهو ما زال في الدنيا بخسارة الآخرة، وماذا يملك الإنسان لو لم يعش على التفاؤل والأمل.؟

وماذا يملك له الآخرون إن لم يتحر الصواب في باب الاعتقاد على الدوام. لا شك أن إخفاء اسم الكاتب هو دائما شأن الأعمال المزورة، وإذا كان كل عمل تظهر عليه بصمة صاحبه فإن إنجيل مرْقُص خلا من كافة الدلالات التي تدل على كاتبه.

يقول الأب متى المسكين: «يصف

١- السابق صـ ٢٦

٢- أعمال الرسل ٢ : ٥

٣- التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) صـ ١٧

العلماء إنجيل القديس مرْقُص بصفة العمل الذي لا تبرز فيه شخصية كاتبه، فهو يخفي شخصيته تماما، ويتمادى في ذلك حتى إنه لم يوجه ولا مرة واحدة الكلام للقارئ، كما صنع القديس لوقا في مقدمة إنجيله، وكما صنع القديس يوحنا في ختام إنجيله، بل ولم يلمح قط في أي موقف من المواقف أنه كان حاضرًا أو سامعاً، والمرة الوحيدة التي يُستشف منها أنه لمح عن نفسه كموجود هي في (١٤ : ٥١) غير أنه يصعب جدا على أي قارئ أن يدركها إلا إذا كان ذا إلهام وبصيرة.

كما لا يذكر مَرْقُص أي شخصية كان على اتصال بها، أو حتى يلمِّح عن أي مصدر التجأ إليه في تدوين إنجيله.

وأما سبب ذلك كله فيرجعه الأب متى المسكين إلى أنه لا يفترض في نفسه ولا في قارئه أن يشك فيما يكتب.

ويقول العالم (جوانس وايز) إنه يصعب على القارئ المدقق أن يشعر فيما يخص إنجيل القديس مَرْقُص، وما يخص صاحبه أيضاً أنه كان محمولاً على التقليد الثابت

في الكنيسة، وأنه كان مدفوعاً بالروح ليقول ويسجل ويعلم ويختم على كلام الله، وكأن مَرْقُص نفسه جزء حي في الإنجيل لا يمكن فصله عن إنجيله، لذا لا يشعر القارئ أن مَرْقُص يكتب ليكسب للمسيح أو ليقنعه بما يقول، فلسان حاله في سرد الواقعة أو القصة كقصة قائد المئة أنه إن كنت تشك في ذلك فاذهب لقائد المئة واسأله، أو إن كنت تشك في قيامة (الرب) اذهب وعاين القبر الفارغ أو حقق مع التلاميذ والخمسمائة شاهد»[١]

هذه التعليلات هي منتهى ما يمكن أن يصلوا إليه من حجج لأسباب ترك مَرْقُص لاسمه، وإخفاء شخصيته، وهي باختصار تضحية بقيمة الأمانة العلمية من أجل التواضع، فالأمانة العلمية تفرض على كل كاتب أن يسجل اسمه ليضمن قبول كتابه، والتواضع وهضم النفس يفتح له بابا لإخفاء اسمه، ولكنهم يرون أن مرقص حمل الأمانة وأداها وهو لا يريد أن

١- الإنجيل بحسب القديس مرقص الأب متى المسكين صـ ٥٨

يعرف الناس من قدم لهم هذه الأمانة.

لكن مرة أخرى: لماذا لا يكون الإنسان أميناً ويكون في الوقت نفسه متواضعا، فهو يكتب وحي الله ، ولا يتسلى بقصة رائعة.

فهل يلقى الكتاب قبولا وهو مجهول كاتبه؟

الاتجاه الثاني: يدعي أن لمَرقُص صلة ما ببطرس.

وأصحاب هذا الاتجاه ينقسمون إلى جماعات مختلفة في تحديد نوع وشكل هذه العلاقة.

فجماعة رأوا أن مَرقُص كان تابعاً لبطرس اعتماداً على تفسير بابياس.

وآخرون ظنوا أنه ابن بطرس، اعتماداً على ما جاء في رسالة بطرس الأولى «تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومَرقُص ابني».[١]

فهذا النص يظهر أن مرقُص هو ابن بطرس، حقيقة على رأي البعض أو بالتبني على رأي آخرين.

وهؤلاء وأولئك يهللون فرحا، فهم يودون لو حصلت لهم قناعة داخلية بموافقة بطرس على إنجيل من الأناجيل الأربعة.

ويعلق ناشد حنا على وجود اسم مرقص في رسالة منسوبة إلى بطرس بما يفيد أن نصراً تحقق لعقيدتهم: «ما أعجب كلمة الله وارتباطها وتأييدها بعضها لبعض، ليس لبطرس شهادة ولبولس شهادة أخرى، ليس لرسول الختان شهادة ولرسول الأمم شهادة، ولكن شهادة واحدة بإرشاد الروح القدس الواحد»[٢]

ولكن – للأسف – أكثر علماء الغرب ينفون نسبة الرسالة إلى بطرس، ومن حججهم ما يلي:

١ – إن لائحة موراتوري سنة ١٧٠م لا توجد فيها رسالة بطرس الأولى.

٢ – إن الرسالة لم ترد في العهد الجديد في الكنيسة السورية حتى عملت الطبعة السريانية للعهد الجديد والمعروفة باسم بيشيتو حوالي ٤٠٠م [٣]

١ – بطرس الأولى [٥ : ١٣]

٢ – رسالتا بطرس صـ ١٣ ، ١٤

٣ – تفسير العهد الجديد (باركلي) رسالة بطرس الأولى

٣. كانت الرسالة أمام يوسابيوس ومع ذلك لم يحتج بها وهو يحاول أن يثبت علاقة مرَقُص ببطرس، بل عارضها معارضة صريحة مقدماً عليها كلام بابياس الذي يقول: «إن مَرقُص كان تابعاً لبطرس» مع أنه نعته بالغباء

من هذا كله لجأ العلماء إلى إبداع فكرة لا تقطع صلة الإنجيل ببطرس، وإن قطعت بأن مَرقُص ليس ابن بطرس بحال من الأحوال.

فكان الاتجاه الأول الذي سبق وعرضناه.

والحق إن دراسة العهد الجديد لا تؤيد ربط مَرقُص ببطرس إطلاقاً، وهذا ما يعلنه سفر الأعمال حيث يتوزع مَرقُص بين بولس وبرنابا، فهو خادم لبولس[١] وأحد العاملين معه.[٢] وهو ابن أخت برنابا كما جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسي «يسلم عليكم ارسترخس الماسور معي ومرقُص ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا. إن أتى إليكم فاقبلوه».[٣]

فمن هذا النص يظهر:

- أن مَرقُص هو ابن أخت برنابا.
- أنه كان رفيق بولس في سجنه.

وهناك من امتنع عن تحديد نوع العلاقة التي تربط مرقُص ببرنابا، فاكتفى محررو التفسير التطبيقي للعهد الجديد على ما يلي: «وكان برنابا ومَرقُص أقرباء».

وعلى هذا التفسير لا يجب أن يكون بطرس متزوجا بأخت برنابا، وعلى اعتبار أن مَرقُص هو ابن أخت برنابا يجب أن تكون المختارة التي في بابل – حسب اجتهادات بعض المفسرين – هي زوجة بطرس وأخت برنابا.

غير أن هذه الفكرة لا تظهر مطلقاً في أسفار العهد الجديد.

ويأتي ظهور حماة بطرس مصابة بالحمى في إنجيل مرقُص دون أن يحدد لنا الكاتب أنها جدته دليل على أمرين:

١ – كما في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس «خذ مرقص واحضره معك لأنه نافع لي للخدمة» [٢تيموثاوس ٤ : ١١]

٢ – «ومرقص وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي» [فليمون ١: ٢٤]

٣ – كولوسي [٤ : ١٠، ١١]

- إما أن الكاتب ليس ابن بطرس.
- وإما أن هذه المرأة ليست جدته.

ومع الأخذ في الاعتبار إلغاء التعدد في المسيحية يفقد الإنجيل صلته ببطرس على الاجتمالين.

وحتى لو اعتبرنا مَرْقُص ابن بطرس، ففي هذه الحالة يبقى السؤال: هل هو مَرْقُص الذي كتب الإنجيل ؟.

من الواضح أنه في وقت كتابة سفر الأعمال كان هناك شخص اسمه (يوحنا) ويلقب بـ (مَرْقُص) سجل عنه لوقا بعض المعلومات:

«ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مَرْقُص حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلّون».[١]

«ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعد ما كمّلا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مَرْقُص»[٢]

«فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذي يدعى مرقُص».[٣]

«وبرنابا أخذ مَرْقُص وسافر في البحر إلى قبرص».[٤]

هذا ما يصوره لنا سفر الأعمال عن شخصية مَرْقُص، ولا يذكر سفر الأعمال ولا رسائل بولس أية علاقة تربط مَرْقُص ببطرس، ولا نستطيع أن نعثر على ما يؤكد أو حتى ينفي ما ذكره سفر الأعمال، بالتأكيد كانت هناك آراء كثيرة ضاعت بضياع مصادرها، ولكن من بداية القرن الثاني تكثر الأسماء، ويكثر الإدعاء بأن هؤلاء تتلمذوا على يد الرسل، فهل كان الناس لا يكتبون وأصبحوا بداية من القرن الثاني يكتبون؟

تلجأ الكنيسة إلى فكرة التقليد الشفهي لسد تلك الثغرة الواسعة، ويتجاهل بابياس ما يذكره سفر الأعمال ورسائل بولس عن شخصية مَرْقُص، ويكتفي بإضافة عبارة متناقضة مع سفر الأعمال والرسائل معاً، وقد اطلع الآباء على تفسير بابياس وعلى سفر الأعمال والرسائل، ولم يحتج يوسابيوس بما جاء في رسالة بطرس من إلحاق نسب مرقص إلى بطرس، ويرجع ذلك إلى أن

---

١ - أعمال ١٢ : ١٢

٢ - أعمال ١٢ : ٢٥

٣ - أعمال ١٥ : ٣٧

٤ - أعمال ١٥ : ٣٩

الرسالة كانت لا تزال محل نزاع في عهده، وإن كان قد عدها ضمن الأسفار المقبولة بخلاف الرسالة الثانية[١] إلا أن الكنيسة السورية القريبة من قيصرية (موطن يوسابيوس) لم تكن قد قبلتها بعد.

ولقد تملكت يوسابيوس غيرة عميقة في الدفاع عن الإنجيل، وحاول أن يرسم صورة نورانية لكيفية ظهوره فقال: «وأضاء جلال التقوى عقول سامعي بطرس لدرجة أنهم لم يكتفوا بأن يسمعوا مرة واحدة فقط، ولم يقنعوا بتعاليم الإنجيل الإلهي غير المكتوبة، بل توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مَرْقُص أحد تابعي بطرس، والذي لا يزال إنجيله بين أيدينا، لكي يترك لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التي سبق أن وصلتهم شفوياً، ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل، وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم مَرْقُص.

ويضيف يوسابيوس: ويقولون إن بطرس عندما علم بوحي من الروح بما حدث، سرته غيرة هؤلاء الناس، ونال السفر موافقته لاستعماله في الكنائس، وقد أيد هذه الرواية أكليمندس في الكتاب الثامن من مؤلفه «وصف المناظر» واتفق معه أيضاً أسقف هيرابوليس المسمى بابياس».[٢]

ثم ينتقل يوسابيوس إلى بيانات أخرى عن كلمات الرب التي دونها بابياس على عهدة أريستون، وتقاليد مسلمة من القس يوحنا محيلاً إليها محبي الاطلاع في عصره، على أنه يضيف لكلماته السابق اقتباسها ذلك التقليد الذي يقدمه عن مَرْقُص كاتب الإنجيل في الكلمات الآتية:

«هذا ما يقوله القس أيضاً: إن مَرْقُص إذ كان هو اللسان الناطق لبطرس كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله ، لأنه لا سمع للرب ولا اتبعه، ولكنه فيما بعد – كما قلت – اتبع بطرس الذي جعل تعاليمه مطابقة لاحتياجات سامعيه، دون أن يقصد بأن يجعل أحاديث الرب مرتبطة ببعضها، ولذلك لم يرتكب أي خطأ إذ كتب على هذا

---

١ - تاريخ الكنيسة يوسابيوس صـ ١٥٢

٢ - السابق صـ ٨٨ ، ٨٩

الوجه – ما تذكره – لأنه كان يحرص على أمر واحد، أن لا يحذف شيئاً مما سمعه، وأن لا يقرر أي شيء خطأ»

هذا ما دونه بابياس عن مرقص.[1]

وعدم تعليق يوسابيوس على هذا الكلام يفيد بأنه لم يقر بخطأ مرقص بهذا التقصير في التدوين، وبهذا نعلم يقيناً أن إنجيل مرقص قد دون قبل إنجيلي متى ولوقا، لأنه بظهور متى ولوقا وما أضافاه من أحداث في ميلاد وأقوال وأعمال المسيح قد شككا دون قصد في استيعاب مرقص لقصة المسيح.

وهنا ثار السؤال: لماذا ترك مرقص هذه المعلومات دون تدوين ؟

رأى بابياس أن مرقص لم يرتكب أي خطأ إذ كتب على هذا الوجه، وبعد قرنين أيده على ذلك يوسابيوس. وواضح من كلامهما أن مرقص لم ير المسيح ولا سمعه ولا تبعه.

ولكن كثيرين من الذين لا يقتنعون بصلة مرقص ببطرس يتشبثون بكون مرقص هو أحد تلاميذ المسيح، فهو صاحب العلية، بل وصاحب ضيعة جثسيماني، وما أدراك ما ضيعة جثسيماني !

يقول أسقف كليفتون: «إن بداخل إنجيل مرقص ما يؤيد أنه كتبه كشاهد عيان لأعمال المسيح»[2]

غير أن صفات مرقص في وثائق بابياس تكشف جانباً من شخصية مخالفة لكل ذلك، فهو:

- لم يسمع المسيح ولا تبعه.
- وهو أحد تابعي بطرس. أو اللسان الناطق لبطرس
- كتب بدقة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عما قاله أو فعله المسيح.
- بطرس علم بوحي من الروح بما حدث، سرته غيرة هؤلاء الناس، ونال السفر موافقته لاستعماله في الكنائس

ويبدو أن يوسابيوس فحص هذه المسألة بعناية، ولم يستطع أن يقول بما في رسالة بطرس، من أن مرقص هو ابن بطرس، وتجاهل عشرات النصوص الواردة في سفر

1 - السابق صـ ١٧٧ ، ١٧٨

2 - الإنجيل بحسب القديس مرقس الأب متى المسكين صـ ٣١

الأعمال ورسائل بولس عن علاقة مرقص ببولس وليس ببطرس، وأصبحت النصوص المقدسة لديه في الموضوع هي كتب بابياس.

ومع كل ذلك لم يترك يوسابيوس بابياس قبل أن ينعته بالغباء. ولم يجرؤ على الزعم بأن مرقص كان شاهد عيان، أو أحد التلاميذ السبعين أو صاحب العلية، أو غير ذلك، لأنه لم يجد ما يؤيد فرضاً من هذه الافتراضات، ولم يقدم سفر الأعمال أية معلومات تفيد أن مرقص كان شاهد عيان، وقد حرص على التعريف به، فكان كلما مر عليه قال «يوحنا الملقب بمرقص» ولكنه جعله تابعاً لبولس، ولم يبرر انفصاله عن بطرس إن كان هو نفسه المذكور في رسالة بطرس الأولى، وخاصة أننا نعلم بمدى العداوة التي كانت تسود بين بطرس وبولس، كما يظهر من رسائل بولس نفسها.

ولقد كان أمام يوسابيوس أكثر من حل يجنبه سرد المعلومات المتعلقة بمرقص وبطرس على هذا النحو، ولكنه اختار اجتهاد بابياس، محتجاً بكونه أحد الأقدمين، في حين أن نصوص العهد الجديد كافة تظهر أنه كان تابعاً لبولس وليس لبطرس. وجعله تابعاً لبطرس ألحق التقصير ببطرس، لأنه علم بالروح بالإنجيل ولم يكمله بما ينقصه من معلومات استدركها عليه متى ولوقا ويوحنا.

واضافة إلى ذلك فإن مرقص لم ينفرد عن إنجيلي متى ولوقا بأية معلومة ذات قيمة، غير أن يوسابيوس لم يكن ليجرؤ على الجهر بهذه الحقيقة، ولم يكن في استطاعته أكثر من أن يدافع عن تقليد بابياس، وهذا ما جعله يتجنب السير في أي اتجاه يخرجه عن فكر بابياس.

وهناك نظرية تقول بأن الإنجيل كتب على يد أكثر من كاتب، وعلى أكثر من مرحلة. وهذه النظرية لم يعرفها الآباء، وقد أعطى ماركسين في أبحاثه «منتصف القرن الماضي» ردوداً حاسمة على النقد الذي يقول بتلك النظرية».[1] وقد تعودنا أن لا شيء مطلق، فما يمكن إثباته في منتصف هذا القرن يمكن نسفه في مطلع القرن القادم، ولهذا نترك المجال لتقول الأبحاث القادمة

1 - السابق صـ ١١٠

كلمتها فيما يخرجنا عن موضوعنا الآن.

– نتيجة الخلاف بين الاتجاهين

أظنك الآن وقد سئمت من عرض وتحليل وجهة نظر من يصل ومن يقطع مرقُص عن بطرس، ونحن نسهل الأمر فنقول: إن الاتجاهين في النهاية يعملان معاً على ربط الإنجيل بالمسيح بجعل كاتبه تلميذاً للمسح أو لبطرس. وفي الحالة الأخيرة يكون بطرس قد أقر ببعض ما ورد في متى ولوقا بإقراره لما جاء مثلهما في إنجيل مرقُص.

ويحكي يوسابيوس أن بطرس قد علم بالإنجيل عن طريق الروح القدس، وأنه سر لهذا الصنيع، ولكنه لم يأمره ولم ينه، وهذا الموقف يقلل من قيمة الإنجيل، فكأن حفظ كلام الله مسألة لا تستحق أمراً ولا نهياً. «ورغم وجود الأناجيل الأربعة ورغم اهتمام هذه الأناجيل الأربعة بشخص المسيح إلا أن الكنيسة لا زالت عاجزة عن تحصيل معارف محددة عن المسيح.

إننا اليوم نحاول أن ننبش تلك الأناجيل والوثائق القديمة بحثاً عن تعاليم المسيح الحقيقية. وأمام الأبحاث النقدية خرج إنجيل مرقُص من القرن التاسع عشر خالياً من أي علاقة لبطرس»[1] (!)

وقد يكون من المشروع لنا أن نسأل هذا السؤال: ما النتيجة التي تترتب على قطع العلاقة بين مرقُص وبطرس ؟

إن النتيجة المنطقية لذلك هي قطع المسيحية اليونانية التي يمثلها بولس عن اليهودية التي يمثلها بطرس، والآباء اليونانيين عن الحواريين الاثني عشر.

ويبقى على المسيحيين اليوم أن يختاروا بين الختان واللا ختان.

وأما السبب الذي حشر الكنيسة في هذه الزاوية فهو أنها وجدت نفسها بين موقفين، كلاهما أصعب من الآخر:

فلو حاولت نسبة الأناجيل إلى المسيح أو رسله اصطدمت بحقيقة أن هذه الأناجيل مدونة بغير لغة المسيح.

ولو حاولت نسبتها إلى كتابها اليونانيين اصطدمت بصعوبة ربطهم بالحركة العبرية في فلسطين.

وهكذا تكون نسبة الأناجيل إلى

---

١ – السابق صـ ١٠٩

العبرانيين غير مقبولة، ونسبتها إلى اليونانيين غير مقبولة كذلك، وهنا وتبعا لتفكير الآباء كان لا بد أن يأتي الإعلان عن كاتبي الأناجيل بطريقة مرحلية، تبدأ بجلسات جدل ومناظرات يبرز فيها اسم بابياس. ويتعمق الخلاف حتى تظهر وثيقة موراتوري نهاية القرن الثاني، وبعد ذلك تتكفل المجامع بتصفية كل خلاف.

والغريب بعد كل هذا العناء في سبيل الاعتراف بإنجيل مرقُص أن حرارة التأييد له سرعان ما بدأت تهدأ شيئاً فشيئاً، فما إن اعترفت الكنيسة به كسفر مقدس بين أسفار العهد الجديد حتى ظهر لها أنه لم يضف جديداً فنحته جانباً، بل وأحجمت عن استعماله في العبادة والقراءات الكنسية. والحجة في كل ذلك أن ما فيه من مادة مسجل في إنجيلي متى ولوقا، وتبعاً لهذا يمكن الاستغناء عنه، وإن كان هو لا يغني عن أي منهما.

ويبدو أن هذا يرجع إلى أن الكنيسة قبلت إنجيل مرقُص أول ما قبلت، ثم قدمت عليه في الترتيب إنجيلاً وأخرت آخر، ولما وجدت أن الأناجيل الثلاثة لم تستوعب ما توفر لديها من مادة قصصية لحياة المسيح، سعت إلى إنجاز إنجيل رابع، ولكنها أصرت على عدم تكرار شيء سجل من قبل، ومن هنا ظهر الإنجيل الرابع فريداً في معلوماته وطريقة عرضه، فقد حاول إبراز غزارة ما في حياة المسيح من حكم وعبر ومعجزات، حتى لقد زعم أنها لو سجلت المعجزات واحدة واحدةً فإن العالم لن يسع المكتوب.

وبدخول هذا الإنجيل دائرة التقديس بدأت مكانة إنجيل مرقُص تتأخر شيئاً فشيئاً، ولا يزال هذا شأنه إلى يومنا هذا، يدور بين صعود وهبوط، وطلوع ونزول.

ويلخص الأب متى المسكين حالة إنجيل مرقص ابتداءً من عصر الآباء وحتى يومنا هذا فيقول: «بات إنجيل مرقُص من بعد عصر الآباء مجهول القيمة، إذ صارت الفكرة الشائعة عنه طوال العصور الوسطى – وهي التي ابتدرها القديس أغسطينوس ومن بعده إيسيذورس أنه منقول من إنجيل متى، بل ويعتبر مجرد تلخيص له، وقد كان لإيسيذورس هذا (٥٦٠ – ٦٨٠م) التأثير الأكبر على العصور

الوسطى اللاحقة له، واستمرت هذه الفكرة عند بداية قيام الدراسات النقدية الحديثة في القرن الثامن عشر إذ نجد العلماء لا يزالون متأثرين بها، ويعتبرون إنجيل مرْقص منقولاً من إنجيل متى».

وفي سنة ١٨٦٣م دافع هولتزمان بشدة عن صحة إنجيل مرْقُص، وأهم ما سجله في ذلك أنه أثبت أن إنجيل مرقُص وثيقة أصلية، وعلى أساسها كتبت بقية الأناجيل، وبهذا يكون أول من وضع إنجيل مرْقص في موضعه الصحيح كأقدم وثيقة مسيحية، وهكذا سجل لتقليد الكنيسة الأولى أعظم شهادة.

ويشهد العلامة الألماني الآخر ألبرت شفيتزر لهولتزمان فيقول: «لقد أظهر هولتزمان هذه المهارة العجيبة في كيفية استخلاص هذه النظرية التي فرضت نفسها على روح العصر كله في الستينات»

ويعلق الأب متى المسكين: «وهكذا بدأ يدخل إنجيل مرْقص في معمعة النقد برأس مرفوعة بسبب نظرية هولتزمان هذه بعد مئات السنين من الإهمال والتجاهل حتى من أعظم آباء الكنيسة في القرون الأولى» (١)

ولكن الكنيسة الكاثوليكية تأخرت في رد اعتبار إنجيل مرْقص، ففي سنة ١٩٦٩م فقط «زادت الكنيسة في ليتورجيتها عدد القراءات من إنجيل مرْقُص في أيام الآحاد، وأيام الأسابيع والأعياد في جدول القراءات الكنسية الجديد، ذلك بعد خمس سنوات، دراسة وتحضير والاستعانة بكثير جداً من المراجع الليتورجية والتعليمية والإنجيلية بالإضافة إلى ٦٦٠٠ صفحة نقدية أرسلت إلى اللجنة من كافة أنحاء العالم، واستجابت اللجنة في مجمع الفاتيكان الثاني، لتعديل دستور القراءات الكنسية» ويضيف الأب متى المسكين: «لأن إنجيل مرْقص كان قد أهمل بشدة في جدول القراءات، فكانت قراءته لا تزيد عن ١٥ مرة فقط في قراءات القداس على مدار السنة»(٢).

وهكذا عاش إنجيل مرْقص على مدى القرون السابقة يتردد بين العلو والتدني، والتقريب والتنحي،

---

١ - السابق صـ ١٠٨ ، ١٠٩

٢ - السابق صـ ١١٤

وهذا ولا شك ثمن التسرع في قبوله قبل دراسة مدي الحاجة إليه، فلو تريثت الكنيسة لكان ذلك أجدى، فلا شك في أن كل مسيحي يتمنى اليوم لو أن كنيسته كانت قد اعترفت بإنجيل واحد، أو صاغت أناجيلها الأربعة في إنجيل واحد، وإذاً لجنبته حالات الإرباك والحرج النفسي.

لقد كان نتيجة التصرف غير الواعي أن صار الإنجيل مجهول القيمة، واستغني عنه باعتباره مختصراً لإنجيل متى وتلخيصاً له.

والغريب أن رائد هذا الاتجاه هو القديس أوغسطين أوسع آباء الكنيسة نفوذاً في عصره وبعد عصره، فقد استوقفه كون الكاتب من العوام أو من متوسطي الثقافة، فلم يكن من الأدباء الذين يجيدون صياغة الفكرة، ولا هو كذلك من العلماء الذين يربطون القديم بالجديد، ولا الإنجيل بالتوراة. ولا توجد إشارة صريحة إلى أنه كان تلميذاً ليسوع، أو أنه كان شاهد عيان لما سجله، بل إن عبارة بابياس تؤكد عكس ذلك.

والحق أن إنجيل مرْقص شكل أولى المحاولات لتسجيل قصة المسيح، ولهذا أثره على شكل وموضوع الإنجيل، فدائماً التجارب الأولى لا تصل إلى الوضع المطلوب، ويعتبر الكاتب أول من تلقى المعلومات التي روجها اليهود حول نهاية المسيح، ويكفي أنه اخترع طريقة لربط المعجزات بتلك الخاتمة.

لقد بدأت قصة المسيح تظهر هنا وهناك، حتى ظهرت الأناجيل، وأصبحت هي شهادة الكنيسة للمسيحية العاملة تحت لواء الروح القدس، «والذي بسيطرته على الجماعة المسيحية استبعد تماماً تلك المجموعة الضخمة المتنافرة من التقليد غير القانوني الشفهي منه والمكتوب»(١)

والحق أن اعتبار إنجيل مرقص ملخصاً لإنجيل متى فكرة غير منطقية وغير واقعية، فعدم واقعيتها يرجع إلى ما نجده من نصوص في إنجيل مرْقُص لا نجدها إلا في إنجيل لوقا، فلو ضم إنجيل لوقا إلى إنجيل متى لصح اعتبار

---

١ - التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) تأليف ر. ألان كول ترجمة نجيب إلياس برسوم صـ ١٦

إنجيل مرقص من حيث الشكل تلخيصاً لهما معاً.

وأما من حيث المنطق فقد رأت المدارس النقدية رأيها بتحليل مضمون الأناجيل الثلاثة، فانعكست نظرية أوغسطين وإيسيذورس الذي عاصر قيام الدعوة الإسلامية في جزيرة العرب، وبداية الفتح الإسلامي حتى وصوله إلى أوربا الغربية.

وهكذا يختلف العلماء في كل شيء يتعلق بالإنجيل حتى اللغة التي كتب بها، وثقافة الكاتب في صباه وفي غير صباه.

وكل ما سقناه من معلومات مستقاة من تحليل لغة الإنجيل لا تقدم ولا تؤخر في معرفة اسم الكاتب، وماذا يفيدنا الآن وإن حصلنا على بصمة الأصابع القصيرة، أو اللسان اليوناني، طالما ليس لدينا معرفة بأصحاب ملايين البصمات لنكتشف أياً منها الكاتب؟

أهم المراجع

١. الإنجيل بحسب القديس مرقص دراسة وتفسير وشرح أول وأقدم الأناجيل الأب متى المسكين / مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون

٢. التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل مرقص) تأليف ر. ألان كول ترجمة نجيب إلياس برسوم ط/ دار الثقافة

٣. الخلفية الحضارية للكتاب المقدس (العهد الجديد) كريج س. كينر مطبعة يوبرس أولى.

٤. المدخل إلى العهد القديم القس صموئيل يوسف / دار الثقافة.

٥. المدخل إلى العهد الجديد الدكتور القس / فهيم عزيز ط / دار الجيل

٦. المدخل إلى العهد الجديد موريس تاوضروس / دار يوحنا الحبيب للنشر

٧. تاريخ الكنيسة تأليف يوسابيوس القيصري ترجمة القمص: مرقص داود ط/ مكتبة المحبة

٨. تفسير العهد الجديد وليم باركلي ط/ دار الثقافة

٩. تفسير الكتاب المقدس تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسس داندس ط / ثالثة ١٩٨٦ بيروت

١٠. تفسير إنجيل مرقص هلال أمين موسى ط/ أوتوبرنت

١١. حياة وفكر كنيسة الآباء تأليف القس إثناسيوس فهمي جورج ط / دار الكتاب المسيحي

١٢. خلاصة تاريخ المسيحية في مصر تأليف لجنة التاريخ القبطي ط/ ثانية ١٩٩٦م مدارس الأحد.

١٣. دائرة المعارف الكتابية مجموعة من اللاهوتيين ط/ دار الثقافة

١٤. دراسات في آباء الكنيسة تأليف أحد رهبان برية القديس مقاريوس ط / مطبعة دار نوبار للطباعة. نشر دار مجلة مرقص

محتويــات العـدد

الموضـــوع **الصفحـــة**

المقدمـــــــة أ

بيان معاني الرحمة فى القرآن الكريم دراسة موضوعية ١-٩٠

مغالطـــات البابـا ٩١-١٤٢

الإسلام وتحديات العولمة ١٤٣-١٩٨

الغيب الذي استأثر الله بعلمه وحكم مدعيه ١٩٩-٢٣٨

مساواة المرأة بين مصادر التشريع ومؤتمرات الغـرب ٢٣٩-٣٢٦

نحلَةُ الغَالبِ ســـراب لا شـــــراب ٣٢٧-٣٧٧

التنصير وواجبنا نحوه ٣٨٧-٤٩٤

دورُ الأُسرةِ في رعايةِ الطِّفل إيمانياً على هَدْي السُّنَّةِ المُطهرة ٤٩٥-٥٤٠

الأحاديث النبوية التي سرت مسرى القواعد الفقهية ٥٤١-٥٦٦

كاتب إنجيل مرقص بين الإقرار والإنكار ٥٦٧-٦١١

فهرس الموضوعات ٦١٢-٦١٣